سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

تموز 2015 العدد (17)

ما السيادة.. من هي سيدة سوريا

الحريم والحريم المضاد بين الواقع والمتخيّل

صيدليات سيدة سوريا مشاريع نسائية رائدة

لقاء: نوف الغامدي سفيرة الفكر الاستراتيجي

تحقيق: أمهات نازحات في إدلب المحررة

د. تغريد الحجلي بصدد محاولة التوسعة النسائية

فهرس العدد

تموز 2015 العدد (17)

أمهات نازحات وأوضاع معيشية متردية في إدلب المحررة..... نور مارتيني ٤

عيدٌ لأطفال الغوطة رغم طائرات النظام..... ٧

د. تغريد حجلي: المرأة غير المنظمة ضمن تشكيلات تنظمها وتعبر عنها، لا تستطيع أن تقدم شيء على المستوى السياسي ٨

ما السيادة.. من هي سيدة سوريا؟..... علا شيب الدين ١٠

صيدليات سيدة سوريا مشاريع نسائية رائدة ١٤

قلق واكتئاب وبحث عن الهوية سيكولوجيا المهاجرين..... نجاح سفر ١٦

الهجرة من الريف إلى المدينة والتحضر الزائف ٢/١..... جمانة علي ١٨

أكبر إبادة عرقية في التاريخ..... مها مصطفى ٢٠

للصحراء حكايا بعدد حبات الرمال..... خديجة بلوش ٢٢

الادب الإيراني في المهجر..... مريم الحيدري ٢٤

مراكب بلا أشرعة..... الحكم النعيمي ٢٦

لا يربطه بسوريا سوى جيناته.. أسطورة التكنولوجيا ستيف جونز..... رهف موسى ٢٨

يبحرون بأحلامهم على زوارق هشة.. الهجرة السورية مغامرة العقل والحب والثورة والبناء بشار عبود ٣٠

أسماء ووجوه مختلفة والجريمة ذاتها أقليات في مصارعة التاريخ..... خوشمان قادو ٣٢

الكشف المبكر عن سرطان الثدي ودوره في تحقيق الشفاء التام..... سارة العمر ٣٤

من التغليب إلى الجندر..... نبال زيتونة ٣٦

الحريم والحريم المضاد بين الواقع والمتخيل قراءة في منهج فاطمة المرنيسي..... فراس يونس ٣٨

أن تكون المرأة صحفية يعني الالتزام والعديد من التحديات..... د. إنعام شرف ٤٠

بين براميل الأسد والمنافي.. أين أطفال سوريا من الهوية..... كريمة رشكو ٤٢

سفيرة الفكر الاستراتيجي نوف الغامدي لسيدة سورية: الأحزاب الدينية لا تمتلك برامج لحل مشاكل البطالة والتصحر والانفجار السكاني حوار بشار عبود ٤٤

لا يولد البشر مرة واحدة..... بشرى البشوات ٤٨

السوبداء في الثورة.. حملة يطلقها ناشطون في السوبداء..... ٥٢

أنكون شعباً جرد من الانتماء..... نينار حسن ٥٣

تمبكتو قديسة الصحراء "سينما"..... عفاف خليفي ٥٤

كل عام وانت لي وطن..... لونا العبد الله ٥٤

حجر..... غفران طحان ٥٧

فارس يا بياع الورد..... بسمة شيخو ٥٨

سيدة سوريا

رئيس التحرير
محمد ملأك

مدير التحرير
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير
مراد عبيد

إخراج فني
الحكم النعيمي

saiedetsuria@gmail.com

WWW.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي
تركيا - غازي عينتاب

00905533679528
00905435322971
00905347362458

المركز السوري للصحافة و النشر
Syrian Center For Press & Publishing

السعر خارج سوريا: (5) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

في الأميّة والقراءة على هامش المجزرة

لكلام بقية

أكثر من ٩٧ مليون أميّ عربي، أكثر من تسعة ملايين طفل خارج المدرسة، عشرون مليوناً ممن يلتحقون بالتعليم الأساسي يتهربون من المرحلة الأولى، والنسب بين الإناث أعلى في كل ما ذكرنا.

وحسب الدراسات يتطلب التعليم الأساسي لكل محتاجيه في الوطن العربي إلى (٦) مليارات دولار سنوياً، وهي أرقام صغيرة مقارنة مع ٣٠٠ مليار للإعلانات، و٥٠٠ مليار للتبغ، وأكثر من ذلك طبعاً للإنفاق العسكري، يصرف جلّه في معارك محلية أو عربية عربية.

اثنان بالألف إنفاق البحث العلمي، ما يعادل عشرة دولارات للفرد في العام، حوالي نصف الدارسين في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم.

هذه إحصاءات ما بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٥ تتعلق بالتعليم في المنطقة العربية، أوردتها "الألسكو" (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) في تقاريرها وكذلك تقرير المعرفة العربي.

وفيما يتعلق بالثقافة والقراءة، وبغض النظر أن مبالغات كثيرة ترد في المتناول الشائع، والذي لا يستند إلى تقارير واضحة، كأن لا يقرأ العربي أكثر من ست دقائق أو أربع صفحات في العام، فإن العرب أقل دول العالم تعاطياً مع القراءة والثقافة، والعمل بها، وأدناهم بسوية أنواعها، وحسب "يونسكو" (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، طبعت الدول العربية كافةً، مالا يتجاوز ٦٥٠٠ كتاب عام ٢٠٠٣، مقارنة مع أكثر من مئة ألف كتاب لأميركا الشمالية، و٤٢٠٠٠ كتاب لأميركا اللاتينية، وحسب مؤتمر القاهرة الدولي للكتاب، فإن أكثر الكتب مبيعاً هي، كتب الدين والطبخ والأبراج والكتب التعليمية.

وفيما يخص الترجمة، تأتي الأرقام أكثر قساوةً، إذ لا يزيد ما تُرجم إلى العربية من كل اللغات، ومنذ عصر المأمون حتى اليوم عن عشرة آلاف عنوان، وهي تساوي ما تترجمه إسبانيا في عام واحد، ولا يفوتنا أن نضيف أن في أعداد الطباعة الكثير من التفاوت، حيث لا يزيد عدد النسخ للكتب المطبوعة بالعربية غالباً عن ألفٍ، فيما يطبع من الكتاب في الغرب خمسون ألف نسخةٍ، وما يشتهر منها يصل إلى ملايين النسخ.

ولمزيد إيضاح، نورد ما قالته الجزيرة في تقريرٍ صدر عنها في ٩ شباط/فبراير٢٠١٥، إن سبعة ملايين شخص يعملون في قطاع الثقافة بالإتحاد الأوربي، وإن قطاع الثقافة يأتي ثالثاً في سوق العمل بعد السياحة والبناء.

هذا ويعزو محللون ظاهرة الأميّة وعدم القراءة في العالم العربي، إلى عديد أسباب منها:

-غياب إرادةٍ سياسيةٍ حقيقيةٍ لمكافحتها.

-تخصيص ميزانيات محدودة للتعليم وتطوير المعلمين.

-كذلك قِدمُ المناهج التي لا تواكب سوق العمل ولا تطور الحياة.

-إضافة لانتشار الفقر، خاصة في الريف يرفد ذلك ارتفاع سعر الكتاب وضعف الاستقرار، وسوء الأنماط الثقافية التي تشجع على القراءة وتحض على التعليم.

ولمن ظن أن هذا هو الأسوأ، فليطلّ على الإحصائيات التي تشير إلى أن ازدياد السكان والولادات في المنطقة العربية، اتسع فتقها على الراتق، من حيث العمل على تخفيض نسبة الأمي، وإن تفاوت ذلك بين دولةٍ غنيةٍ قليلة العدد، ودولةٍ فقيرةٍ مكتظة السكان.

لكن الأسوأ على الإطلاق ما حدث ويحدث في السنوات الأخيرة، في واقع الحروب التي شنتها الأنظمة من جهةٍ، والإرهاب من جهةٍ أخرى، على الناس قتلاً وتهجيراً، حصاراً، تدميراً للبنى التحتية، وتحويراً للمناهج، تقهقرٌ يبدو أكثره وضوحاً في اليمن وسوريا والعراق وليبيا، حيث يعيش مئة مليون عربي، ما ينذر بكارثةٍ مدمرةٍ على المنطقة والعالم، ليس ما رأيناه ونراه اليوم سوى بدايات إرهاصاتها، في سوريا أطفالٌ محاصرون معزولون عن العالم والحضارة، بانقطاع النت والكهرباء وتوقف التعليم، يقابل ذلك استنثار الظلاميين بتعليمهم، فلو أضفنا ثقافة الانتقام والكراهية التي تنمو بتأثير الظلم إلى ما يتعلمونه، لوقفنا أمام فجوةٍ في التعليم، وفواتٍ حضاريٍ، سيكون مصدراً للإرهاب وإنتاج العنف وثقافة القتل، ما يجعل من المنطقة وما حولها دوامةً تبتلع كل شيء، وتعيدنا إلى مجاهل الزمن وعصور ما قبل التاريخ.

رئيس التحرير

أمهات نازحات وأوضاع معيشية متردية في إدلب المحررة

تحقيق: نور مارتيني

اعتادت الأمهات في أنحاء سوريا أن يجعلن من شهر رمضان طقساً خاصاً، شهراً يحرصن خلاله على لم شمل العائلة والأصدقاء، وتحضير أفخر الأطباق التي تندرج تحت قائمة الطقوس الرمضانية، من خلال ولائم يدعى إليها الأهل والأصدقاء، تتبعها السهرات الرمضانية التي لا تنتهي إلا بانقضاء وقت السحور.

تجد هؤلاء الأمهات أنفسهن اليوم، في منافٍ بعيدة عن بيوتهن التي ألفنها، وتعايشن مع كل ركن فيها، وقد فقدن أساليب التواصل حتى مع أبنائهن، وباتت وسيلة التواصل الوحيدة التي يمتلكنها هي وسائل التواصل الاجتماعي، إن توافرت لديهم الهواتف الذكية، أو الحواسيب المحمولة!

غير أن نساء محافظة إدلب عموماً شهدن ظروفاً بالغة القسوة هذا العام، خلال شهر رمضان، نظراً لسخونة المعارك فيها، خلال الأشهر الأخيرة، إبان معارك التحرير التي خاضها جيش الفتح، والتي أدت إلى تحرير مركز المدينة، ومدينتي أريحا وجسر الشغور، هذه المدن التي تعدّ الخزان البشري الأكبر في المحافظة بطبيعة الحال، فضلاً عن أعداد النازحين الذين كانوا متواجدين فيها، فارّين من مدنهم المنكوبة، ووجدوا أنفسهم في حالة نزوح جديدة.

أتى رمضان هذا العام على المحافظة، وقد دمّرت بالكامل، نتيجة ردة فعل النظام الانتقامية المعهودة، من المدن والبلدات المحرّرة من جهة، وفي ظلّ ارتفاع جنوني للأسعار، وعجز الجهود الإغاثية عن تلبية احتياجات الأعداد الهائلة من النازحين واللاجئين، مضافاً إليها أزمة كبيرة في المحروقات، وإغلاق تام لمعبر باب الهوى، الذي كان بوابة إدلب الوحيدة على الحياة.

تخصص سيدة سوريا مساحة للحديث عن هموم أوضاع نساء محافظة إدلب المعيشية، والظروف الإنسانية الصعبة التي عانينها، خلال شهر رمضان من هذا العام.

نازحو مدينة إدلب.. نقص شديد في المحروقات واستهداف من قبل النظام

تروي "نهى" وهي من أهالي مدينة إدلب، ممن نزحوا إلى قرية "كفربنة"، تفاصيل معاناتها مع تجربة النزوح في شهر رمضان، خاصة مع إغلاق المعابر بشكل تام، وأزمة الوقود التي تشهدها المنطقة، تقول نهى: "خرجنا منذ شهرين من مدينة إدلب، بعد أن دمّر بيتنا بسبب براميل النظام التي استهدفته أكثر من مرة، اخترنا قرية كفر بنة لأنها الأكثر أمناً، ولكن الإيجارات مرتفعة جداً، نقيم في بيت يقتصر على الغرفتين، ومع ذلك فإيجاره ٣٠ ألف ليرة سورية شهرياً، لحسن الحظ تمكننا من جلب ثيابنا وبعض الحاجيات البسيطة التي نجت من الدمار".

حول ظروفهم المعيشية، تقول نهى: "كان رمضان فرصة للمّ شمل العائلة، اليوم أصبحنا كل في واد، بالكاد نتواصل عن طريق (الواتس آب)، لا أدري إن كنت سأستطيع رؤية أخواتي المتواجدات في حلب يوماً ما" موضحة أنّ "أسعار المواد الغذائية مرتفعة جداً، فسعر كيلو الخيار وصل إلى ٢٥٠ ليرة سورية، ومثله ربطة الخبز، إن وجدت، بسبب ارتفاع أسعار المحروقات، حيث وصل سعر لتر المازوت إلى ٩٠٠ ليرة سورية".

أما ملك، التي تعيش في الريف الغربي، بعد نزوحها من المدينة جراء القصف العنيف الذي تشهده المدينة، فتقول: "كنا نعتمد سابقاً على الأميرات، لكن في ظل غلاء الوقود تضاعفت أسعارها، ولم نعد قادرين على دفع الاشتراكات، إلا أنها ليست مشكلة إذا ما قيست بأحوال غيرنا ممن يبيتون في العراء، كذلك لم يعد زوجي قادراً على العمل، بسبب أزمة الوقود أيضاً، أما صهريج الماء فصارت تكلفته ٢٥٠٠ ليرة سورية". وعن توافر المواد الغذائية، توضح ملك أن الخبز غير متوفر، وهو رديء النوعية، وأن سعر الربطة وصل إلى ٢٠٠ ليرة، أما عن الخضار، فتقول: "الفلاحون يموتون قهراً لأنهم لا يستطيعون جني محاصيلهم بسبب نقص الوقود، ما تسبب في

وصول أسعار الخضار إلى مبالغ خيالية، في رمضان أصبح صحن الفتوش حلماً".

نساء جسر الشغور وظروف النزوح القاسية خلال شهر رمضان

لا يختلف مصير "بثينة"، النازحة من مدينة جسر الشغور، عن مصير مثيلاتها من نازحات إدلب أو أريحا، أو كافة الأرياف المحرّرة، حيث اضطرت إلى ترك بيتها والنزوح مع أهلها إلى إحدى القرى في الريف المحيط بمدينة سلقين الحدودية.

حول الظروف القاسية التي تعانيها نازحات مدينة جسر الشغور، تقول "بثينة": "سأخبرك بداية عن رغبتي في إغفال اسمي، في الحقيقة أنا مهندسة وموظفة لدى الدولة، وبعد خروج النظام من جسر الشغور، والحملة الشرسة التي قام بها مستهدفاً المدنيين، لم يعد أمامي سوى راتبي الشهري الذي صرت مضطرة لقبضه من مدينة حماة، والمرور على حواجز النظام، وأخشى أن ذكر اسمي قد يتسبب باعتقالي أو حرماني من راتبي، المصدر الوحيد للدخل بالنسبة لي في الوقت الحالي".

أما عن ظروف النزوح التي عاشتها، خاصة في شهر رمضان، فتقول: "صرنا نعدّ العدّة لاستقبال التفجيرات بعد صلاة التراويح، ولسقوط البراميل في وقت الإفطار، وننتظر المجازر في العيد، لذلك لم يعد يعنينا اي شيء آخر"، وتتابع: "ماذا يعني أن يتجاوز سعر ربطة الخبز ٢٠٠ ليرة سورية؟ ما الذي يهمك من أمر ما ستحضرين لطعام الإفطار في الوقت الذي تفكرين فيه بمن ستفقدين من أفراد عائلتك في هذا الشهر!".

وتوضح بثينة أنها وزوجها وأولادها الثلاثة يقيمون في منزل ريفي متواضع مع والديها وأخيها وزوجته، في ظروف بالغة القسوة، فهم مضطرون لدفع مبلغ ٢٥ ألف ليرة سورية شهرياً، إلا أنها وجميع المقيمين في البيت يتدبرون أمور معيشتهم من مدخراتهم السابقة التي لا يدرون ماذا سيفعلون بعد نفادها، خاصة أنهم مضطرون لدفع إيجار ثلاثة شهور مقدماً، والسبب هو أن القرية التي نزحوا إليها تقع على الحدود التركية مباشرة، ولهذا فهي منطقة أكثر أمناً من غيرها.

حول صعوبة الظروف، تقول بثينة: "كانت الهجمة على جسر الشغور هي الأشرس بسبب تخوف النظام من فتح معركة الساحل، ولهذا فالمدينة اليوم مدينة أشباح، أكثر بيوتها مدمرة، كما أن خروج السكان تسبب بحالة من الفوضى والسرقات، هذه السرقات تركزت على أسطوانات الغاز، وخزانات المازوت، ولهذا فالنازحون لا يقدرون حتى على العودة إلى بيوتهم، والبقاء تحت القصف".

أما عن الرحلة إلى حماة لقبض الراتب الشهري، فتقول: "حين أذهب إلى حماة أودّع أولادي وكأنني لن أراهم ثانية، قد تستهدف السيارة لأنها آتية من إدلب، قد أعتقل، وفوق كل هذا فإن تكلفة الانتقال بين جسر الشغور وحماة تبلغ ٥٠٠٠ ليرة ذهاباً، ومثلها إياباً، ولكن ما من سبيل آخر لمواجهة هذه الظروف".

أريحا.. سيدات يعملن على إنقاذ ما يمكن إنقاذه

لم تعد أريحا كما كانت مصيفاً يلتجئ إليه الفارّون من حرارة الصيف، فهذا الصيف كان ساخناً جداً، وسجلت في أريحا أعلى درجات الحرارة، فهي التي شهدت المعارك الأقسى، ولقيت القدر الأكبر من القصف، نظراً لوقوعها على سفح جبل الأربعين الممتدّ نحو جبال الساحل السوري، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن تحريرها جاء بعد تحرير إدلب وجسر الشغور، ما جعل خيارات أهلها في النزوح شبه معدومة، خاصة أنّ هذه المدن الثلاث كانت الأكثر اكتظاظاً، نظراً للجوء النازحين من كافة أنحاء الريف الإدلبي إليها، لكونها كبرى مدن إدلب، ما يجعلها الأفضل من الناحية الخدمية.

حول أوضاع أريحا، تقول "فداء" التي تعمل كمسعفة في المدينة: "نزحنا من أريحا إلى

سراقب بسبب القصف العنيف، غير أننا عدنا في منتصف شهر رمضان، فشدة القصف في سراقب لا تقل عنها في أريحا".

وعن توفر مياه الشرب، تقول فداء: "الخدمات متوقفة تماماً في المدينة، فلا ماء، ولا كهرباء، أو اتصالات، نؤمن المياه من أحد المناهل، حتى هذه الوسيلة باتت خطرة جداً بعد أن قصفه الطيران في أحد الصباحات الرمضانية، صحيح أن القصف لم يقتل إلا شخصاً واحداً، وليس الحال كما هو في مدينة إدلب، ولكنه خلّف الرعب لدى الناس". تتابع فداء حديثها عن الأوضاع في أريحا: "المعيشة هنا صارت غالية جداً بسبب ارتفاع أسعار المحروقات، سعر ربطة الخبز وصل إلى ١٠٠ ليرة وكيلو لحم الخروف إلى ٢٠٠٠ ليرة، بالإضافة إلى أن الناس فقدت بيوتها، وأصبح الموظفون بلا رواتب".

وتحدّثت فداء عن ظروف النزوح التي تضطر ثلاث أو أربع عائلات للإقامة في بيت واحد من غرفتين، وتقسيمه إلى مخادع لكل أسرة باستعمال الأغطية والشراشف، خاصة في ظل حرارة الصيف الشديدة، وفي شهر رمضان ومشقة الصيام، وهو حال النازحين في كلّ مكان.

الظروف الصحية للنازحين

عن الأمراض المتفشية بين النازحين، وتحديداً النساء منهم والأطفال، يقول الطبيب أحمد العمر، وهو من أبناء مدينة جسر الشغور ولديه عيادة ريفية في إحدى قراها: "نواجه عدّة أمراض سببها ظروف الحرب من ناحية، وظروف النزوح الصعبة من ناحية أخرى، أهمها انتشار القمل والجرب بسبب شح المياه، بالإضافة إلى الازدحام نظراً لتواجد عدة أسر في المنزل نفسه، ما يتسبب بتحول هذه الإصابات إلى جائحة، كذلك انتشرت حالات السلس البولي بين الأطفال بسبب الخوف والهلع الشديدين، ما يزيد العبء على الأمهات، المنهكات أصلاً".

وعن الأمراض التي تعاني منها النساء على وجه الخصوص، يقول العمر: "تنتشر بين النساء حالات الالتهابات النسائية والفطور بسبب

ظروف إقامتهن في مدارس على الأغلب، ما يجعل مسألة الاستحمام غير متاحة كما هو الحال مع الرجال".

كما يوضح أنّ هناك جائحة حمى تيفية في تجمعات النازحين وخاصة الأطفال، وأنّ الأدوية مكلفة للغاية والمنظمات الطبية العاملة لا تتكفل بنفقات علاجها، مع انتشارها بشكل كبير، كما سجلت حالات إصابة باللايشمانيا، وبعض المنظمات التركية أدخلت الأدوية اللازمة لعلاجها إلى مناطق حارم وسلقين، ويشير إلى أنّ التعب النفسي والإرهاق باديان على الجميع، كما أن الأطفال يصابون بالهلع من أقل صوت يسمعونه، كدليل على الأمراض النفسية التي باتوا يعانونها.

يندرج ما تحدث به الدكتور العمر ضمن بند الأمراض العامة، غير أن هناك معاناة أخرى لنازحي مدن إدلب، أريحا، وجسر الشغور، وكل من كان يقيم فيها، وهي المتعلّقة بمرضى السرطان، أمراض الغدد الصم، التصلّب اللويحي، وغيرها من الأمراض التي كانت وزارة الصحة التابعة للنظام تتكفل بعلاجها، حيث أن مرضى سائر الريف كانوا قد انتقلوا إلى هذه المدن، لضمان استمرار الحصول على الدواء، واليوم لا سبيل إلى تأمينه!

تتحدّث "صفاء" عن معاناتها بسبب توقف الخدمات: "أعاني منذ قرابة عامين من مرض في الدم، ولدي نوع من الدواء ينبغي أن أواظب عليه، المشكلة أنه بعد التحرير لم أعد قادرة على تأمين العلاج الذي كنت أحصل عليه مجاناً، وكلفته تصل إلى ٢٤٠٠٠ ليرة سورية شهرياً"، وتضيف: "غامرت بنفسي وتوجهت إلى دمشق للحصول على الدواء، لكن دون جدوى، حيث قالوا إن علي مراجعتهم لاحقاً، طبعاً تكاليف السفر باهظة جداً خاصة في ظل أزمة المحروقات، ما يجعل من العودة إلى دمشق أمراً شبه مستحيل، بالإضافة إلى رشوة الحواجز، ومخاطر التعرّض للاعتقال".

وتتابع صفاء: "فيما مضى كنت أسافر إلى مدينة اللاذقية لجلب الدواء، لأنه منذ بداية الثورة لم يعد أي من هذه الأدوية يصل إلى إدلب، الآن أصبح الذهاب إلى اللاذقية شبه مستحيل بالنسبة لأهالي إدلب، ما يضطرني للذهاب إلى دمشق، فيما مضى كنت أذهب إلى اللاذقية ٥ أو ٦ مرات إلى أن أحصل على الدواء، أما الذهاب إلى دمشق فهو بالغ الصعوبة".

وحول دور المنظمات الطبية العاملة في إدلب وريفها، توضح صفاء أن المهمة الملقاة على عاتقها كبيرة جداً بسبب الأمراض المتفشية والقصف الدائم، بالإضافة إلى نقص الكوادر، وتشير أنها تواصلت مع عدة منظمات طبية، غير أن أحداً ما لم يتمكّن من مساعدتها، ثم تقول: "لقد خسر أولادي كل شيء، بيتهم ودراستهم ورفاقهم، ولكن كابوسهم الأكبر اليوم هو أنهم قد يفقدون أمهم".

على الرغم من المعاناة الإنسانية، التي يضاف إليها القصف والاستهداف الدائمين لكل مدن وبلدات الريف الإدلبي، وتحديداً مناهل المياه التي يستعين بها الناس، ظلّ أهالي إدلب مصرّين على الحفاظ على التقاليد الرمضانية، في سعي منهم لخرق الحزن الذي بات يلم بهم من كلّ حدب وصوب، وخلق بؤرة ضوء في محيط حالك السواد.

عيدٌ لأطفالِ الغوطة رغم طائرات النظام

فريق تحرير سيدة سوريا

لا يضيّع نظام آل الأسد، فرصةٍ حتى ينغص على أهالي غوطة دمشقَ أيامهم، قتلاً وتدميراً وإعاقةً لمحاولات الحياة، فيختار في أيام رمضان الحارّة القاسيةِ على الناس بسبب ظروف الحصار الذي يفرضه على الغوطة منذ ثلاث سنوات وظروف الصيام، يختار ساعة الإفطار لينقض على المدنيين هادماً المنازل على رؤوسهم، ورؤوس أطفالهم، قبل شربة ماء الإفطار، هذا هو شكل العقوبات والانتقام الذي يذيقه للناس لخروجهم ضد ظلمه، وها هي طائراته الحربية لا توفّر الأطفال والنساء في أيام العيد، لتوقع بينهم عشرات القتلى والجرحى في سوابق لم يشهد لها التاريخ البشري مثيلاً.

لكن شبان الغوطة وناشطيها، يأبون الهزيمة والانكسار، يأبون أن يفرض النظام طقسهُ على أطفالهم في أيام العيد.

فقد نظمت مجموعة أبناء الغوطة، بالتعاون مع المكتب الإغاثي الموحد، ومدرسة كلنا سوا للدعم النفسي، حفلاً استمر يومين لمعايدة ست مئة طفلٍ من أبناء شهداء الغوطة، قدمت فيه الهدايا والعيديات والحلويات والمشروبات الباردة، لأطفال يعيشون طوال السنة في ظل إرهاب النظام السوري، وآلة قتله من طائرات وصواريخ ومدافع، إضافة للتجويع القسري الذي يفرضه عليهم، بحصار طويل الأمد، شعاره فيه "الركوع أو الجوع."

لكن همة أهالي الغوطة تأبى الامتثال للقوة، وترفض الذل، يقول "عبد الغني شهيد" وهو أحد الناشطين القائمين على الحفل: "كان تنظيم الحفل تحدياً وضعناه أمام أعيننا نحن والعديد من الناشطين والناشطات، حيث طائرات النظام المجرم تملأ سماء الغوطة، وتزرع منازلها وشوارعها وأسواقها بالدمار والموت، كان التحدي الأول تأمين المواد وإدخالها عبر الحصار، فلا عيد للأطفال دون حلوى وبسكويت ومشروبات باردة في صيف الغوطة، والتحدي الثاني، كان تأمين مكان آمن من قصف الطائرات، نجمع فيه كل يوم ثلاث مئة طفل، محاولين إشعارهم بالفرح، وجعلهم ينسون القصف والموت الذي تعيشه مدن الغوطة الشرقية كل يوم، والحمد لله نجحنا بذلك، وكان احتفالاً مثالياً مليئاً بالفرح، ولو كان فرحاً نستعيره للأطفال، أطفالنا لساعات."

وتضيف "وصال" وهي إحدى الناشطات القائمات على تنظيم الحفل: "شمل الحفل الكثير من الفقرات، حيث غنى الأطفال ورقصوا مع ميكي ماوس، ثم استمعوا للحكايات في فقرة "حكاية الجدة"، جاء بعدها فقرات الألعاب والمسابقات وفقرات المهرجين، ثم فقرة الرقص التي قدمتها مجموعة من الأطفال تم تدريبها للاحتفال، لتأتي فقرة توزيع المعايدات والهدايا"، ومجيبة عن شعورها بهذا الإنجاز تقول "وصال": "نحن نعتبره نصراً حققناه، بعون الله وإرادة أهالي الغوطة، فأطفال الغوطة يستحقون أن يعيشوا الفرح وطقس العيد، رغماً عن أنف نظام القتل، هو نضال أهل الغوطة، صبرهم، إيمانهم بالله، والنصر والحرية والحق، وأن الباطل لا يدوم.

تغريد الحجلي : "المرأة غير المنظمة ضمن تشكيلات تمثلها وتعبر عنها، لا تستطيع أن تقدم أي شيء على المستوى السياسي"

حاورتها سيدة سوريا

بعد أن شغلت عدة مواقع في سياق عمل المعارضة السورية، في المجلس الوطني السوري المعارض، ثم وزيرة للثقافة وشؤون الأسرة في الحكومة السورية المؤقتة، الدكتورة تغريد الحجلي متعددة المناقي، تحمل دكتوراه في علم الاجتماع والإعلام، متخصصة في إعلام المرأة، مثلت المرأة السورية في كثير من المؤتمرات والمحافل الدولية، تشغل حالياً منصب نائب رئيس منظمة "حماية الطفل" في بروكسل، ومنصب مسؤولة برنامج التطوير والتخطيط والتدريب فيها، تحاورها سيدة سوريا في عددها هذا حول واقع الثورة السورية في ظل المتغير الدولي والإقليمي، وبصدد فكرة زيادة تمثيل المرأة السورية في مؤسسات المعارضة عامة، وتوسعة تمثيلها في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، والتي طال الحديث عنها منذ أكثر من عام، وشهدت محاولاتٍ أخفقت حتى اليوم.

***كيف تنظرين اليوم لواقع الثورة السورية في ظل الظرف الراهن والمتغير الدولي، وكيف تنظرين إلى عمل المعارضة السورية والائتلاف خاصة، كممثل لأكبر تياراتها السياسية؟**

تستحق الثورة السورية أن توصف بثورة القرن، والشعب الذي قام بها شعب أسطوري.

الوضع السوري اليوم خاضع لتجاذبات العديد من الأطراف الدولية، ففضلاً عن موضوع الإرهاب الذي قام النظام السوري بصناعته في الداخل، وفضلاً عن دور أمريكا في خلق الأزمة السورية ثم السيطرة على مفاتيحها، إيران وأزمة اليمن والانشغال بحلها عما يحدث في سوريا، كما أصبحت سوريا في نظر المجتمع الدولي بؤرة للإرهاب في العالم، وليست البلد الذي يشهد ثورة شعب يسعى لنيل حريته من نظام فاسد، خوف المجتمع الدولي من الإرهاب في سوريا بعد أن تسبب تراخيه بتفاقمه، مؤسف أمام حقيقة ما يجري فيها.

مئات آلاف الشهداء والمعتقلين، عذابات الأطفال والنساء، انعدام التعليم والمأوى، كل ذلك يضع المعارضة السورية أولاً والمجتمع الدولي ثانياً، أمام مسؤولية كبيرة تجاه السوريين.

المعارضة الداخلية متأثرة بالنظام، وقد ساهم الأخير في صناعتها، وهي مرهونة له بصيغة من الصيغ وتعمل على مسارين: فهي معارضة ضد النظام، ومعارضة مع النظام من أجل مصالحها ووجودها، في حين أن الائتلاف، وأن كان لا يزال متمسكاً بالثوابت الأساسية المتمثلة في حذف بشار الأسد والمجرمين ممن تلطخت أيديهم بالدماء من المشهد السياسي السوري في المستقبل ومحاسبتهم، والعمل على بناء دولة مدنية ديمقراطية تعددية، لكن هناك أمران يعيشهما الائتلاف: الأول هو أزمة الوضع الدولي عامة بسبب الانهيارات، مشروع المصالحة مع إيران، والثاني يخص ما يعتور بنيته من التنافس والتنافر والتحالفات الساعية للمصالح الشخصية أولاً، والتي تتعاطى مع مصالح السوريين وكأنهم شأن ثانوي.

اما المعارضة الخارجية، ولا أشكك بوطنية من انخرط فيها، فعملها منذ خمس سنوات، لم يرق إلى التنظيم، بل بقي مشتتاً، ونحن بحاجة إلى عمل أكثر تنظيماً وثقة وإنسانية.

***منذر أقبيق مستشار شؤون الرئاسة في الائتلاف في رسالة وجهها، على الحاجة "لإجراء توسعة نسائية، كذلك توسعة "أقليات"، لتأمين تمثيل أوسع للمجتمع السوري، هذا من شأنه دحض ادعاءات الأسد بأن الثورة من لون فكري واحد، ولا يؤيد المساواة في المواطنة، وهذه التوسعة من شأنها أن تحدث صدمة إيجابية لدى أوساط المجتمع السوري، وكذلك دولياً، والائتلاف بحاجة لذلك بعد فقدانه لقدر كبير من مصداقيته". هل توافقين على أن الائتلاف لم ينجح في تطوير علاقته مع الداخل ولا تحسين أدائه من حيث التجانس وتخفيف حدة التنافر بين مكوناته، وإلى ماذا تعزين ذلك النفور أو على الأقل عدم الاكتراث من الناس والسوريين في الداخل والخارج بعلاقتهم مع الائتلاف؟**

للأسف نعم، كنا نتمنى أن تبتعد الكتل السياسية الممثلة للشعب السوري، عن كل الصراعات والتكتلات الطائفية العقائدية، وأن تكون وطنية فقط، لكن ما حدث أن الصراعات احتدمت بين الكتل، ما أضعف القرارات التي تتخذ داخل البيئات السياسية، مؤسف انعدام الثقة المتبادلة بين الائتلاف والداخل السوري، أما عن رسائل من هذا النوع فلا بد من شكر أي جهة تبادر بها، لكني أرى أن هذه الرسالة تأخرت، فقد وجب تمثيل كافة فئات الشعب السوري في مختلف هيئات المعارضة منذ تأسيسها، حالياً يفرض المجتمع الدولي حقوق الأقليات، حبذا لو أخذت هيئات المعارضة، وعلى رأسها الائتلاف، هذه القضية

بعين الاعتبار منذ البداية، وتبنت تمثيلاً حقيقياً لكافة الفئات بما فيها النساء، بما يتوافق مع ما تقوم به المرأة على الأرض، بعيداً عن اعتمادها كإكسسوار لتزيين الائتلاف أمام المجتمع الدولي.

***كيف تنظرين إلى الحضور النسائي في المعارضة السورية، وإلام تعزين قلة وضعف حضورها؟**

المرأة نصف المجتمع ونصف الثورة، ويجب أن تمثل مناصفة في هيئات المعارضة، من هنا لا بد من الاعتراف أن حضور المرأة غير فاعل، وما زال شكلياً للأسف، رغم قوة حضورها على الأرض، ووجود آلاف المعتقلات وآلاف الشهيدات، والكثيرات ممن يحملن مسؤولية أسرهن وعبء النزوح واللجوء.

لم يعد الإكسسوار النسائي كآلية تمثيل في هيئات المعارضة صيغة مقبولة بالنسبة للنساء السوريات، واستمرار الائتلاف به يضعنا أمام ضرورة مواجهته، نحن نبحث عن تمثيل نسائي قائم على الكفاءة والأهلية، يتم إقراره من قبل لجنة متخصصة ومستقلة تتضمن أعضاء من داخل الائتلاف وخارجه، منعاً لأن تتم التوسعة النسائية على أساس التكتلات الموجودة، لا بد من وعي الدور الحقيقي لمؤسسة المعارضة التي ستضطلع بقيادة المستقبل السياسي السوري، وعليه فوجود المرأة لا بد أن يكون معادلاً لوجود الرجل، لكن التوسعة العشوائية مرفوضة، إن لم تستند إلى القواعد والتيارات والتشكيلات في الداخل، وتساهم جميعها في التشكيل، لا أن يفرض عليها من قبل أشخاص، لقد استبعد الداخل عن القرار بما يكفي، وهذا خطأ يجب ألا يتكرر، وبخصوص الترشيحات النسائية هناك نساء رائعات في الداخل، وبإمكانهن الخروج ولو لمرة في الشهر، وفي حال تعذر الوصول، هناك وسائل للتواصل بين الداخل والخارج.

***كنا تكلمنا معك فيما يخص توسعة التمثيل النسائي في الائتلاف، وكان لك رأي فيما يخص محاولات التوسعة التي يقوم بها البعض، وقد عرضت عليك المشاركة وتم اقتراح اسمك، لكنك رفضت واعتذرت، استناداً إلى رؤية خاصة بهذا الشأن، كيف تحدثينا عن ذلك؟**

كنتُ ذكرت أن وجود المرأة في مؤسسات المعارضة هو أولوية من وجهة نظري، لكن ضمن أسس واضحة في اختيار الشخصيات، وقد عرض علي الانضمام لترشيحات التوسعة النسائية من قبل السيدة "مريم جلبي"، في النصف الأول من حزيران الماضي، وشكرت ثقتها واعتذرت، مع الإشارة إلى استعدادي للتعاون في أي إطار استشاري خارج نطاق الائتلاف، اعتذاري جاء على خلفية عدة أسباب هي: أولاً الوجود غير الفاعل للمرأة في هذه المؤسسة، حيث ينحصر القرار بعدد من الأشخاص، ثانياً رغبتي في منح الفرصة لوجوه جديدة قد تكون قادرة على تقديم ما لم أستطع تقديمه، بما يتيح التداول، فقد قمنا في وجه نظام أراد أن يحكم إلى الأبد، إذاً لا بد من منح الفرص لآخرين وفق معايير مؤسساتية، ثم رغبتي بالابتعاد عن التنافرات، والسبب الثالث أن التواصل لم يتم، كما أشرت سابقاً، عبر لجنة متخصصة أو جهة واضحة، يعلن عنها وعن مهمتها في اقتراح المرشحات بشكل رسمي، على موقع الائتلاف أو مواقع التواصل الاجتماعي، أو غير ذلك، وهنا، ومع حفظ الاحترام للسيدة مريم في سعيها للأخذ بيد المرأة السورية، وبغض النظر عن الجهة المكلّفة، لكن تعيين شخص لهكذا مهمة، يستدعي أن يختار من الدائرة المحيطة به، أو المعروفة له، والسيدة مريم قد لا تكون على تواصل مع كثير من السيدات في الداخل والخارج، ممن يجب ألا يحرمن من فرصة الترشح، طبعاً هذا ليس انتقاصاً من جهودها، ولا تقليلاً من احترام هذه الجهود، لكن من غير المنطقي بنظري أن تكون قائمة أو مكلفة بالترشيحات، وهي في نفس الوقت إحدى المرشحات، ما نبحث عنه هو عمل مؤسساتي، بناء البلد لا يمكن أن يقوم على الفوضى بعد ثورتنا على نظام الأسد، نظام الفوضى والتركيات، ليس من حق أي شخص مهما بلغت صدقية نواياه تجاه أحقية النساء في التمثيل، أن يتفرد بالترشيح.

ثم إنه بعد اعتذاري بفترة، بلغني من من بعض الأصدقاء أن اسمي وارد في قائمة الأسماء المرشحة، وقد حافظوا على ترشيحي الذي لم يستشيروني فيه أصلاً، كيف يتم الترشيح دون استشارة أصحاب العلاقة! وهذا ما جرد العملية من الديمقراطية، عاودت الاتصال بالسيدة مريم، وكررت شكري وتأكيدي على اعتذاري عن الترشح، وطلبت إلغاء اسمي مرة أخرى، هذه الفوضى لا تنتج عملاً ناجحاً، برأيي أن تضع أسماء كبيرة ضمن ملف ما، فقط لتمنحه ثقلاً وتحصل له على الموافقات، هي طريقة غير سوية، ثم أليس من الأجدى أن يترافق مع الترشيحات برنامج عمل تتفق عليه المرشحات كونهن سيكنّ المعنيات الأساسيات به، بدلاً عن اقتراحهن من قبل أشخاص، وعدم مشاورتهن بالأمر أصلاً! في الحقيقة أتمنى على الأخت مريم جلبي ألا تتحمل مسؤولية هكذا أمر، وألا تكون واجهة لأي كان، مع إيماني بصدق نواياها، أتمنى ألا تترك فرصة لأحد أن يقول: لقد اخترت الأسماء من جهتك، أو معارفك، أو تيارك السياسي أو الحزبي، هذا سيؤثر عليها كثيراً، وأنا لا أتمنى أبداً، أن يخسر نضال نساء سوريا، سيدة بميزاتها وأهميتها وتفانيها .

***كيف تنظرين إلى تمثيل نسائي حقيقي يعبر عن حاجة ورأي وإرادة نساء سوريا صاحبات التضحيات الحقيقية، دون استثناء أو استغلال أو تجاوز أو إقصاء؟**

رغم تخصصي في شؤون المرأة، لم أنتسب خلال السنوات الماضية لأي تجمع نسوي، واقتصرت مشاركاتي على ورشتيّ عمل فقط، برأيي غياب الثقة والرؤية الموحدة عن عمل المرأة سيبقى عائقاً في طريق نجاحه، هناك العديد من المنظمات التي عملت على تمثيل المرأة سياسياً، دون الالتفات إلى واقعها الذي ما زال بعيداً عن هذا النمط من التوجه، لا بد للعمل أن يكون من القاعدة إلى القمة، ثم إن المرأة غير المنظمة ضمن تشكيلات تمثلها وتعبر عنها، لا تستطيع أن تقدم أي شيء على المستوى السياسي، لا يمكن أن نصنع تمثيلاً سياسياً للمرأة، دون أن نعمل معها على الأرض، على همومها، على حاجاتها، وإلا سنكون مدّعين ومفارقين للواقع.

وأيضاً هناك سيطرة على المشهد من قبل بعض الأخوات، فيما المطلوب هو العمل بعيداً عن الشخصنة و"الأنا"، والانطلاق من الآخر، ثم متابعة ما يتم إنجازه، بدءاً من ورشات العمل التي تنتهي فاعليتها بنهاية الأيام التي تعقد ضمنها، حتى أعلى سوية عمل مطروحة.

التشكيلات النسوية اليوم تحتاج إلى منجز حقيقي تعمل عليه، والعمل حتى اليوم غير مركز وغير منظم، نحتاج إلى عمل مؤسساتي، يبدأ من تحليل حاجات المرأة السورية، ويستند إلى الكفاءات، وتمثيل يعبر عن كل السوريات، هذه الرسالة موجهة بكل صدق وخوف على أي سيدة سورية تمتلك النوايا الإيجابية، لكنها ربما تغفل عن الآليات الصحيحة، التوسعة في الائتلاف أو زيادة التمثيل النسائي في هيئات المعارضة، حين تكون غير مدروسة سوف تجعلنا نخسر الفرصة ونحرق أسماء نساء نحن بحاجة إليهن في المستقبل، الهدف من العمل هو مساعدة نساء سوريا والسير بهن خطوة إلى الأمام، وليس التوسعة بحد ذاتها في حال كانت غير فعالة .

ما السيادة.. مَن هي سيدة سوريا؟

علا شيب الدين

لا يزعم هذا المقال بأنه يقدّم إجابة "شافية" عن هذين السؤالين، بقدر ما يحاول التعاطي معهما كمفتاحَين للتفكر الحرّ، والتأمّل دونما تحديد أو تأطير، ولا اختزال أو قولبة أو تنميط. فبالسؤال نتمرّد، ونفكّ من ثم الحصارَ عن عقولنا. التأمل في السؤالين، من شأنه ربما أن يدفع العقلَ إلى إجراء مراجعةٍ نقدية تمعنُ في السلبيّ والإيجابيّ لما حدثَ على "أرضه"، أي العقل، خلال سنوات "الربيع العربي" المستمرّة، ذلك أن مفاهيم وتصورات كثيرة "انهارت" في الواقع داخل الذهن المكدود في الجسد المكدود، ونبتت تصورات أخرى جديدة، أو فلنقل، انفتحت آفاق للتأمّل في ما ينطوي عليه الذهن. أتاح هذا الانفتاح فرصةً مجادلة ما في الذهن، مقارعته، ومناقشته، إلى آخر ما هنالك من سُبل التمرد على القديم والسائد والمهيمن.

كالفارق بين الموت والحياة، صار الفارق بين اصطلاح "السيدة الأولى" مثلاً، والسيدة الحرة، هذه الأخيرة في وجهها المشرق الأهم على الإطلاق، هي ثائرة، مهاجرة إلى ذاتها، ساكبةُ ضوءٍ في سهول ممتدة، نهاياتُها مفتوحة على سلاسل جبلية، مغسولة الروح من الشوائب، مانحة حياة، يصعب أن تفعل شيئاً "جميلاً وحقيقياً" ما لم يكن قلبُها قد خفق له، عظيمة بأعمالها "العليا"، حكيمة رحيمة يستصرخها المكروبون المعذّبون، منصتة، تقود إلى النور المفضي بدوره إلى عالمٍ كلُّ الناس فيه دمهم، أو سائل الحياة في أجسامهم لونه أحمر، وقفتها سامقة، حضورها أنثويّ مرادف للوجود العميق للعالم. بينما الأولى، أعني "السيدة الأولى"، وهو اصطلاح درجت عادة إطلاقه على زوجات الحكام والملوك والرؤساء والزعماء، فهو شديد الارتباط بالسلطة في معناها الذكوري المتسلّط. شديد الارتباط أيضاً بالبذخ وبالقصور والمناصب والجشع الأعمى وتسطيح الحياة وتسخيفها والاستهانة بها وبالناس والعقول، وهو، على غرار العنصرية في تمجيد العرق الآري، ينطوي على تمجيد نسوة الحكام والزعماء والرؤساء باعتبار هؤلاء جميعاً، أصحاب دمٍ أزرق!

إن الإمعان في فحوى اصطلاح "السيدة الأولى" ومغزاه، يبيّن خطلَ الحكم على البشر بناءً على ترتيبهم وتبويبهم "أول، ثانٍ، ثالث..."، وقد تعمدتُ الحديث عن السيدة الحرة أنفاً، بادئةً بـ"هذه الأخيرة"، فقط لأساهمَ في الكشفِ أكثر عن هذا الخطل، إذ ليس عدلاً أن تكون هناك قواعد ناجزة ومسبقة الصنع يُحكَم على البشر من خلالها، فقد تكون "الأخيرة" أهم بما لا يقاس من "الأولى"، في ما يخصّ هذه الأخيرة، أعني الأولى، فقد برهنت ثورات "الربيع العربي"، أكثر فأكثر أن اصطلاح "السيدة الأولى" مترعٌ بالذكورية، أو هو في الأساس، من صنع ذهنيّة ذكورية، وحسبنا ربما أن نتأمّل ونفكر في الكيفية التي تصرّفت بها هذه "السيدة الأولى" أو تلك، حيال ثورات شعوبٍ مسالمة أرادت بعد طول ذلّ ومهانة، نزعَ حريتها من سجّانيها، والتمردَ على الواقع الظالم المفروض عليها كواقعٍ أبديّ. ثم نفكر ونتأمل تالياً، في الكيفية التي تصرفت بها هذه "السيدة الأولى" أو تلك، حيال مواجهة الأزواج (خصوصاً في سوريا)، أي حكّام هذه الشعوب الثائرة المسالمة، لهذه الثورات، بالقتل وبالتعذيب والتنكيل، بقتل الأطفال خصوصاً وتشريدهم، وتدمير البيت/الوطن، أو البلد الذي "يتسيّده" زوج هذه "السيدة الأولى" أو تلك، باعتباره رأس السلطة و"تتسيّده" هي باعتبارها "عقيلة" رأس السلطة، حسبنا أن نفكر ونتأمّل في ذلك كلّه، حتى نكتشف كم أن اصطلاح "السيدة الأولى"، نُحِتَ ليوائم تماماً السلطة في معناها الذكوريّ الحربيّ الاستعلائيّ البحت. فبدلاً من أن تكون "السيدة الأولى"، أولى فعلاً كامرأة، كأنثى حقيقية، كرمز للسلام والوئام، وراعية المتعبين فعلاً، نراها قد انحازت إلى الحرب، إلى الجيوش النظامية، إلى مناصرة المجرمين والقتلة الذكوريين ضد المقهورين والمحرومين والمظلومين. إن "السيدة الأولى" هي جزء من منظومة سلطوية متسلطة وذكورية، داخلة في

تكوينها وتركيبها و"طبيعتها" و"جوهرها". ما يعني صعوبة انفكاكها عنها.

بما أن للغة مهمات شتى، منها ما يرسم العالم في أذهان المتحدثين بها. فقد يحصل أن تتلاعب هذه اللغة بالوعي الذي يقع فريسة شبكة المتلاعبين بالعقول، خصوصاً تلك الوسنانة التي غلبها النعاس. وعليه، فإن اصطلاحاً من قبيل "السيدة الأولى" منحوت في الأصل لكي يوحي بالعظَمة والحشمة والوقار والجلال. وهذه المعاني كلّها توحي بها مفردة أخرى منحوتة على غرار الاصطلاح المذكور "السيدة الأولى". أي مفردة "عقيلة" التي وردت معانيها التي تدلّ على العظَمة والحشمة والوقار والجلال في "لسان العرب". لكن في هذا المصدر نفسه، ورد معنى آخر لمفردة "عقيلة". ألا وهو "السيدة المخدَّرة". قد يكون المعنى الأخير هذا، أقرب ما يكون لحال "السيدة الأولى". و"خير" ما يوصّفها. إذ هي "سيدة مخدَّرة" بالفعل، تحرّكها خيوط السلطة الذكورية، بعدما انعكس "التخدير" الذكوريّ على روحها تشويشاً وإفراغاً من الأنوثة الحقة. فباتت مشاركة في الشقاق وإحداث العماء، ومنصرفة عن التفكير الجدير، عن كل تفكير. يرغمني هذا الانصراف عن التفكير هنا، على الذهاب إلى إحدى فيلسوفات المدرسة الفيثاغورية المبكرة، أعني ثيانو(١) في قولها: **"لأنّ تكوني فوق ظهر حصانٍ جامح، خيرٌ لكِ**

من أن تكوني امرأة لا تفكر..!". بالمناسبة، كل مبكّر، كل مبادر هو أنثوي، إذ المتأخر، ما يتأخر دوماً، مَن يقطع الصلة والوصل والتواصل، ذكوريّ طبعاً.

كنت "أتمشّى" في "الفضاء الأزرق الفيسبوكيّ" ذات يوم، حين مررتُ بأحدهم يندد على أمه في أبهى صورها، أمّه بزيّها التقليدي الحوراني البهيّ، الجالسة على كرسيّ خشبيّ، صافنة واضعةً يد على خدّها وأخرى أثرت مدّها برفق على طاولة أمامها، استوت عليها بضعُ صحون تحوي القليلَ من الأطعمة والحلويات، كان يناديها كتابةً قائلاً: **"يا سيدة الصالونات، أيتها الحورانية، منتهى الرقي، أين أنتن يا نساء الزمن الجميل في حوران؟"**. خُيّل إليّ أن من خلال "نداءٍ" من هذا الطراز، ومن خلال كل النداءات المشابهة، يكون بعض من الساند قد كُسِر مرة أخرى، إذ ليس ضرورياً أن تكون "سيدة الصالونات"، فقط من طراز مي زيادة مثلاً، أو ولّادة بنت المستكفي، وغير هاتين الأديبتَين الجميلتَين المبدعتَين، فمن شأن "أدب الحياة" أن ينتج أيضاً سيدة مترعة بالحب، تكون في الآن عينه، "سيدة النواميس الثورية"، مزدانة بالحُلى العظيمة، ومدمّرة بأجنحة العاصفة كمَن تنزل من علياء سمائها لتفرّق بين الأخيار والأشرار وتفصل بين الحق والباطل، مشرقة، بزينتها وابتسامتها وألوانها وجمالها وسحرها تظهرُ قباحةَ بعض الذكور وحضورهم الثقيل في هذا العالم. هكذا تتبدّد ربما الأوهام حول مفهوم "السيدة" الناجز، وإذ تتبدّد الأوهام: تبدأ الحكمة، وتبدأ النشوة واللذة في مراقبة المفاهيم المضرَمة وهي تحترق بترنيمةٍ سحريّة أنثوية كإشراقةٍ في كهف، كنجوم مضيئة في ليالٍ رائقة.

"إنما جئتُ لأدمرَ أعمالَ الأنثى!" كليمان السكندري(٢)

ترتسم في الذهنية العامة الذكورية في مجتمعاتنا على سبيل التخصيص، صورةٌ بشعة للمرأة، هي صورة المرأة الشيطانة الخائنة. حسناً، بما أن البلاد، هذه البلاد بالذات لها سيادة، وهي أوطان بمثابة بيوت لها كرامة و"حُرمة مقدّسة". لنا الحق في أن نسأل: مَن خان هذه البلاد منتهكاً سيادتها؟! مَن خان سوريا مثلاً؟ مَن انتهك سيادتها وجعلها في المهب الرهيب هذا؟! النساء؟ أم الرجال-الذكور؟ مَن يمسك بزمام السلطة والسلطان في هذا البلد، أوليس الذكور؟ أوليس النظام الحاكم في سوريا ذكوريّاً؟ لو أنّ النظام عندنا أنثوي الطابع والطبيعة، لو أنّ المرأة هي التي تحكم، لما انتُهكت سيادة سوريا، لأن المرأة تدرك جيداً بإحساسها الأموميّ الخارق أهمية "البيت" وحمايته وصون كرامته، كيف لا، وهي في الأصل والأساس مصدر القيمة وروح الجماعة وعماد الأسرة. إن عنف المرأة عنف حكيمٌ للدفاع عن النفس فحسب، لكن حرب الذكور توسّعية من شأنها أن تمتد وتتمدّد، لكي تتأكّد معها انتهازيات الحيازة وهرمية السلطة وتتجذّر!.

حين "عُسكِرت" الثورة السورية السلمية الشعبية، عنوةً بعد طول صبر على بطش قوبلت به قلّ نظيره، بدت الحياة كأنها قد انتقلت من طور الولادة إلى طور الإبادة، ومثلما حُرف مسار الإنسانية من عصر الأمومة والربوبية ومفهوم الأنثى الخالقة من غير ذكر، إلى عصر الذكورية والحرب والهيمنة، ثم راحت البشرية تحاول تصحيح المسار، كذلك الثورة السورية، حُرفت عن مسارها المدني الديموقراطي المسالم. ما يعني ضرورة تصحيح

المسار أيضاً. وإعادة المحاولة كلّما فشلت أو أُفشِلَت. مثلما تهدد بقوة، روحُ الأنوثة سيادةَ الرجل - الذكر. كذلك تشكّل الثورة المدنية السلمية خطراً داهماً على النظام الذكوري العسكريّ أو الدينيّ.

أحد منتهكي سيادة سوريا، هو حزب طالبانيّ إيراني- لبناني، اسمه "حزب الله". بقدر ما يثير هذا الانتهاك السخطَ وكل أنواع الغضب أولاً، وضرورة المقاومة الحقيقية تالياً، لدى الأحرار أينما كانوا وانوجدوا، أيضاً يثير السخطَ أولاً وضرورة النقد الحازم تالياً، لدى الأحرار، استبدالُ اسم "حزب الله" بـ"حزب اللات". من جهة خصومٍ لا يعرفون ما يقولون ربما، أو يعرفون ويستمرئون ويستمرّون في القول انتقاماً من الحزب المذكور ومن الأنثى دفعة واحدة. فـ"اللات" كانت واحدة من الآلهة الأنثى التي عبدها العرب قبل الإسلام هي والعُزّى ومناة. الإلهات اللواتي وردَ ذكرهنّ في القرآن الكريم، في سورة "النجم". يبدو أن استبدالَ "الله" بـ"اللات" هنا، له دلالات يكشف بعضها عن ذهنية تسعى إلى تبرئة "الله" باعتباره ذكراً، من هذا الحزب المجرم، وإضفاء سمة أنثوية على إجرامه من خلال نعته بألهة أنثوية، أي "اللات"!. من ناحية أخرى، يدخل استبدال "حزب الله" بـ"حزب اللات" ضمن المعمعة السخيفة المعروفة، حيث كلّما شاء لهذا أو ذاك أن يهين رجلاً أو حزباً ذكورياً كـ"حزب الله". لجأ إلى نزع القوة عنه المتمثلة بالرجولة، واتهامه بالضعف المتجسّد بالأنوثة. طبعاً وفق فهم أولئك للقوة والضعف، لا كما هما في "الحقيقة" وفي الطبيعة.

.... وهكذا يستمرّ تدمير أعمال الأنثى! وتستمرّ في المقابل مقاومة روحها الشّعرية لهذا التدمير، حيث كلّما سرت ظنونٌ مفادها موتها، تروح روحها تنثر عطراً فوّاحاً يثير غيظ الكارهين وغيرتهم.

الاغتصاب بوصفه اضطهاداً للتعيُّن

بصوت هادىء مرتجف، سألت ألمى شحود، خلال مقابلة أجرتها معها إحدى الفضائيات: "طيّب.. ضرب فهمنا، تعذيب فهمنا، بس اعتداء جنسي ليش؟!". بدت هذه المرأة الثائرة التي صارت قصّتها معروفة ربما، المرأة التي عاشت الثورة إلى أقصاها، والتي كانت الوحيدة ربما التي تكلّمت عن اغتصابها في معتقَلٍ تابعٍ للنظام الأسدي، علانيّةً بوجه مكشوف، بدت، بجسمها المشلول الممدّد على سرير العلاج، كأنها في حال تأمّل في ذاتها العميقة، توجّه سؤالها إياه لنفسها، لا لمَن يُجري المقابلة، ولا للكاميرا والناس. سألتْ، ومع سؤالها سقطت دمعة وحيدة عتيدة من طرف عينها، دمعة واحدة وحيدة، وشّت بجروح إنسانية أنثوية غائرة هائلة تمور في أعماقها وبواطنها. جروح تلك المرأة، يصعب على غير المرأة، المرأة الأنثى، فهمها والشعور بها. مَن يدري؟ ربما لهذا السبب بالذات، لم تخرج في جنازتها، حسبما قيل إعلامياً، إلا امرأتان! أما أنا، كاتبة هذه السطور، فحسبي أن أقول لروح السيدة ألمى ولكل "ألمى": لقد ألمني جسدكِ. فلتعلمي أنكِ تزيدين على شرفِ ثورةٍ اندلعت من أجل الحرية والانعتاق، شرفاً مضاعَفاً". كلّ امرأة منّا سرّ كونيّ لا يملك موهبة اكتناهه أحد.

أحد الأسباب التي دفعت الأنظمة في دول "الربيع العربي"، خصوصاً في سوريا، إلى قمع ثوراتها الشعبية بالحديد والنار، كان تجسّد الجسد واستحالته جسماً، أي انتقال الشعب من مقولة وشعار وأدلوجة وفكرة مجرّدة ومثال، إلى تعيّن، إلى حيّزٍ واقعيّ، مكاني حسّيّ، فعليّ، حيويّ، أنطولوجيّ، مشخّص وله دور وفعل وفاعلية. وحيث أن جسد المرأة، مسيَّس ومؤطّر بشكل مضاعَف، فقد كان القمع الأعنف هو ذاك الواقع على جسدها اغتصاباً، حين حاول هذا الجسد أن يستحيل جسماً، أي أن ينتقل من السكون إلى الحركة، أو من طور المفعول به إلى طور الفاعل. هنا كان لابد للسلطة أو النظام الحاكم من اضطهاد هذا الجسد، كمحاولة فظيعة مريعة لمنعه من أن يتعيّن. فجرى اغتصابه وانتهاك سيادته. إن الغاية من الاغتصاب هنا، هي سلب "سيادة" المرأة الحرة على جسمها، إذ ممنوع عليها أن تكون "سيدة".

ما يعمّق الجرح الأنثوي والإنساني، في ما يخصّ الاغتصاب عموماً، واغتصاب المرأة خصوصاً، هو أنه غالباً ما تغيب محاسبة ومعاقبة المنتهكين سيادة النساء، كأن الاغتصاب محميّ بقانون ذكوري! تحضرني هنا الأسطورة الآتية: "في يوم من الأيام كانت الربّة إنانا قد تنقّلت عدة مرات بين السماوات والأرض، فأدركها التعب وبلغ بها الإنهاك غايته، فتمدّدت في بستان، لتستريحَ تحت ظلال شجرة الساريانو الوارفة، فغلبها النوم، وكان شوكاليتودا صاحب البستان، يرقبها من بعيد، من بين فروع شجر الساريانو، فلما رآها منهَكة، وقد لعب الهواء بثوبها، فتعرّى جسمها، تسلّل إليها بحرص، واقترب

حتى تأكد من أنها راحت في سبات عميق، من شدة التعب، فانتهكها جنسياً، وهرب. ولما صحت إنانا من نومها، نظرت إلى نفسها في فزع، فأدركت ما حدث، وعزمت على الانتقام من هذا الرجل الذي اغتصبها بهذا الأسلوب المخزي، وقرّرت أن تصطاده بأي ثمن. أرسلت الربة ثلاث كوارث على سومر، الأولى ملء كل الآبار بالدم، حتى فاضت مزارع النخيل والكروم، كلّها دماً، والثانية، ريح عاتية وزوابع مدمّرة، والثالثة غير مؤكدة (لأن سطور اللوح المسماري مهشّمة في هذا الموضع) ومع ذلك كلّه لم تظفر إنانا بمغتصبها شوكاليتودا لأنه كان يذهب بعد كل كارثة إلى أبيه، ليستشيره فينصحه الأب بالاختباء بين أخوته ذوي الرؤوس السوداء، أي أهل سومر، وأن يلازم مركز المدينة. وأطاع شوكاليتودا نصائح أبيه، فعجزت إنانا عن الانتقام منه، ومضت باكية إلى مدينة إريدو مقرّ أبيها إله الحكمة السومري إنكي لتشكو له ما جرى معها".(٣)

في ضوء الأسطورة المؤثرة تلك، ربما يصير في الإمكان معرفة لماذا تلجأ المرأة أحياناً، كحلّ أخير إلى الاحتماء أو طلب الحماية من الرجل في مواجهة الرجل (لجوء إنانا إلى أبيها أخيراً)، بعدما تكون قد "أُفشِلت"، بطريقة تآمرية وضيعة، كلُّ محاولاتها في حماية نفسها بنفسها. يبدو أن هناك مَن يريدها أن تظلّ قابعة "تحت حماية". في إعادة قراءة الأسطورة نفسها، لنا أيضاً أن نتساءل حول أسباب طلب الأب من ابنه المغتصِب ملازمةَ "مركز المدينة". قد يكون مردّ ذلك إلى أنّ المركز هو رمز للسلطة، وبالتالي فالاغتصاب محميّ مباشرة من السلطة المركزية. معلومٌ أيضاً أن مَن نقلَ الإنسان من التوحش إلى التمدّن هي المرأة، وعليه، ففي الأسطورة هنا، ما يشي بالانتقام من المدينة والمدنيّة، ومن الحضارة التي هي أصلاً مكان المرأة ومكانتها، من خلال جعْل مركز المدينة ذكوريّاً، يقيم فيه ذكرٌ مغتصِبٌ للمرأة ولأعمالها ومكانتها.

ثمة مسألة وثيقة الصلة بالاغتصاب، لا بدّ من الالتفات إليها أيضاً، ألا وهي مسألة "تسييس العرض". كلّما اشتعل حدثٌ يهدد مصالح نظام ما، أو سلطة ما، أو حزب ما أو جماعة ما... يروح الذكوريون يرفعون شعارَ "حماية العرض" والصاقه طبْعاً بـ"حماية الأرض"، باعتبار أن العرض والأرض متلازمان، وكلاهما في حاجةٍ إلى حرث وحراسة ذكوريّين. لكن من أبشع التناقضات في هذا الصدد، هو تسييس العرض، بحيث تصير "امرأتهم"، أي المرأة التي تقع في موضع الخصم أو العدوّ، مباحة مستباحة، وتختلف هذه الاستباحة بحسب اختلاف المصلحة والمنفعة سلباً أو إيجاباً، وما من اختلاف في ذلك بين نظام مستبد ذكوري عسكري، ونظام مستبد ذكوري ديني. قد يحصل، على سبيل المثال، في واقعنا هذا، أن يتبنّى زعيم حركةٍ دينية ما شعارَ "حماية الأرض والعرض"، وحين يحصل أن تُعتقل من النظام الذي يزعم هذا الزعيم وحركته، معارضتَه، امرأةٌ معارضة للنظام نفسه أو ثائرة حرة "مدنيّة" تنتمي إلى منطقة الزعيم وحركته نفسها، لا يحرّك هذا الزعيم وحركته الدينية ساكناً، لكن حين يحصل أن تُخطَف مثلاً امرأة "متديّنة"، يقيم الزعيم نفسه وحركته الدينية، الدنيا ولا يُقعدها، هنا بالذات، تظهر صورة "تسييس العرض" واضحة جليّة لا لبس فيها، ويظهر كذلك، إلى أي مدى يكره الذكور المرأة الحقيقية الثائرة الواعية بذاتها وبحريتها، ويخشونها، ويحاولون طمرها وغمرها كونها، من وجهة نظرهم، في حاجة ماسة إلى "تمكين" دائم ومستمر لا ينتهي!

عبثاً ربما نحاول في هذا الزمان، احتواءَ الأحزان كي لا تحتوينا، لا شيء أثقل على النفس الحرة الحرى من الرضوخ للأمر الواقع، لعل هذا ما يصيب وجود المرأة الحرة الثائرة بمقتل في المنفى الداخلي وفي المنفى الخارجيّ على السواء، تُرى أي أوطان بخيلة وقاسية هذه، التي لا تعطينا لو فرصة واحدة فقط لكي "يتعيّن" فكرنا، حبّنا، شعورنا، قلقنا، حُلمنا، هاجسنا، نيّتنا الصافية، إخلاصنا، شغفنا..؟! إن الطليبة الفائقة من شأنها أن تجلب خذلاناً فائقاً، يجعل المرأة أحياناً كمثل مصباحٍ وحيد خافت!

هوامش:

١.ثيانو Theano (حوالي ٥٠٠ق.م)، هي، إضافة إلى أربجنوت Arignote وميا Myia، فيلسوفة من فيلسوفات المدرسة الفيثاغورية المبكرة أو الأولى أو الأصلية التي ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد. من كتاب "نساء فلاسفة". إمام عبد الفتاح إمام. مكتبة مدبولي ١٩٩٦.

٢.من رواية "ظل الأفعى". يوسف زيدان.

٣.أحد آباء الكنيسة توفي سنة ٦١٢ م.

صيدليات سيدة سوريا مشاريع نسائية رائدة

Kvinna till Kvinna

بالتعاون مع منظمة "مرأة للمرأة"، افتتحت مجلة سيدة سوريا مشروع الصيدليات النسائية في الداخل السوري، حيث بدأت المرحلة الأولى بافتتاح صيدليتين إحداهما في الغوطة الشرقية المحاصرة، والثانية في ريف درعا الغربي.

سيدة سوريا

ويخبرنا "مراد عيد" أحد القائمين على العمل في قسم المشاريع بمجلة سيدة سوريا، أنه يهدف إلى تقديم خدمات صحية للنساء والأطفال الصغار، في المناطق المحاصرة والمنهكة بفعل هجرة الكوادر واستمرار المعارك وقصف النظام لها. ويضيف، ننظر لقيمة الصيدلية من منظار الفوائد التي تقدمها للمنطقة المقامة فيها، والتي تبدأ بتأمين فرصتي عمل لقابلة قانونية وممرضة، من أهالي المنطقة، إضافة إلى دفع اجرة المكان الذي تقام به الصيدلية، وهو مبلغ يساعد الأسرة التي تملك المكان على تأمين جزء من دخلها وإن كان يسيراً. لكن الجانب الأهم هو إمكانية تقديم الاستشارات الطبية المجانية، كذلك الدواء المجاني لمن يحتاجه في المنطقة المستهدفة بخدمات الصيدلية، من الأهالي والعائلات النازحة. ويضيف، ذلك يأتي في ظل نقص الخدمات الطبية وشح الدواء بل انعدامه في حالات كثيرة، فالمنطقتان اللتان تم اختيارهما، تعانيان نقصاً حاداً في كل ذلك.

وعن العقبات ويقول "عبد الرزاق" أحد كوادر مكتب سيدة سوريا في الغوطة، إن أولى العقبات، هي تأمين الدواء في ظل الحصار الخانق الذي يفرضه النظام على المنطقة، والذي يصل إلينا بأصعب الطرق، وبعد عمل طويل من التحضيرات والاتصالات والتنسيق، وفي أحيان كثيرة يحصل نقص بأنواع معينة من الدواء، ما يضطرنا إلى بدء تنسيقات جديدة لاستبدالها، لكن الفعاليات المدنية والناشطين في الغوطة يقدمون لنا أكبر العون.

أما في درعا فيخبرنا "أحمد المصري"، وهو أحد كوادر مكتب سيدة سوريا في درعا، ومسؤول عن الأمور اللوجستية التي يحتاجها العمل في الصيدلية، نعاني بداية من صعوبة وصول الدواء، فجزء كبير منه يأتي من دمشق، عن طريق تجار وموزعين، إذ لا نستطيع الحصول على الدواء من صيدليات المدينة، بسبب ارتفاع سعره مضافاً إليه الربح، كذلك نعاني من جشع التجار الذين يسعون للحصول على هامش كبير من الربح، كلما عرفوا أن العمل لإحدى المنظمات، ولا ينظرون للصيدلية على أنها عمل شبه تطوعي، يقوم عليه الناشطون بأقل الكلف في محاولة لزيادة كمية الدواء وتوسيع الخدمة.

وحول العمل في صيدلية سيدة سوريا في درعا، تخبرنا السيدة "عبير حلوم"، وهي ممرضة مختصة وجزء من كادر صيدلية سيدة سوريا في درعا: نعلم أن المنطقة بأشد الحاجة لمشروع كهذا، خاصة فيما يخص الأمراض النسائية، والرعاية الصحية والاستشارات والنصائح، بدءاً من شؤون النظافة والتعقيم، وصولاً إلى المعالجة حسب الإمكانيات المتاحة.

إضافةً إلى الخدمات التي تقدمها الصيدلية وكادرها للأم حديثة الولادة، وطفلها.

وعن سير العمل في صيدلية سيدة سوريا في الغوطة تقول "السيدة فاتنة" وهي قابلة قانونية تتابع شؤون السيدات في الصيدلية: "إن الصيدلية تخدم منطقة مكتظة قليلة الخدمات، يقطنها أكثر من خمسة عشر ألف شخص، وتتعرض لقصف طائرات النظام باستمرار، ويعاني الناس فيها من الحصار الطويل، حتى وصل عدد قتلى الجوع إلى العشرات ما يضعف الأجساد، وخاصة لدى الأطفال والنساء الحوامل وحديثات الولادة، ويجعل من الأدوية والفيتامين

والمقويات، وحتى النصائح الطبية والاستشارات شيئاً ضرورياً جداً، على الأقل من هذا الباب، تعتبر صيدلية سيدة سوريا مشروعاً بالغ الأهمية شديد الفائدة". وتضيف، نحاول الحصول على جهاز إيكو يحتاج إلى الإصلاح، وقد وُعِدنا من إدارة المشروع، بشراء بطارية لتشغيله، ولو تم ذلك لاستطعنا تقديم الكثير من الخدمات للسيدات الحوامل والأمهات.

وتقول منسقة مشروع الصيدليات في مجلة سيدة سوريا، يعتبر التعاون بين مجلة سيدة سوريا وبين منظمة "كفينا تلكفينا" السويدية "مرأة للمرأة" حديثاً، وقد لمسنا من المنظمة الكثير من التعاون والاهتمام والتفهم لواقع وظروف السوريين، واستيعاباً دقيقاً للصعوبات التي تكتنف عمل الناشطين في الداخل، وقد قدمت المنظمة لنا الكثير من العون لإتمام الأمور.

وإن علمنا أن مشروع صيدليات سيدة سوريا في المناطق المحاصرة والمنهكة، هو نموذج من المشاريع ضئيلة الكلفة، التي تعمل عليها سيدة سوريا في الداخل السوري، فالصيدلية تعمل بكلفة لا تتجاوز ألف دولار للشهر الواحد، تتضمن المرتبات وأجور المكان وثمن الأدوية، فإنه سيمكن تقدير أهمية المشروع و خصوصيته، وتتابع، كفريق يملؤنا الحماس والتفاؤل، لتوسيع المشروع وتقويته، وتضيف، أن قرار الإدارة في سيدة سوريا لتنفيذ هكذا مشاريع في الداخل السوري، يحقق هدفاً فائق الأهمية بالنسبة لاستراتيجية سيدة سوريا وأهدافها، حيث يفتح باباً للثقة والتواصل بين كادر مكاتب المجلة في الداخل السوري، والشريحة المستهدفة من النساء السوريات، ويتم على هذا الأساس فتح باب التوعية والمساندة، وتشكيل نويّات لتجمعات نسائية تسهم اسهاماً كبيراً في بناء رأي عام نسائي سوري، وهو أحد أهم أهداف المجلة، فإذا ما أضفنا ذلك إلى المشاريع الأخرى التي تقوم بها سيدة سوريا في إطار مشروع البوح النسائي، وبعضها بالتعاون مع منظماتٍ أخرى، فإننا سنرصد ملامح لعمل متكامل يسير بخطى حثيثة نحو أهدافه.

قلق واكتئاب وبحث عن الهوية **سيكولوجيا المهاجرين**

نجاح سفر
شبكة المرأة السورية

عندما قررت قطتي "لولو" فطام أطفالها الأربعة، أخذت تضربهم وتبعدهم عنها، لكنهم لم يفهموا حركاتها، وشعروا بالغرابة من تصرفاتها، مما جعلهم يصرون على التمسح بها، بينما هي تغالب أمومتها، فتقوم بلحسهم تارة وضربهم تارة أخرى. هذه التجربة يعيشها البشر كغيرهم من المخلوقات، وتعتبر الهجرة الأولى للفرد عندما يغادر رحم أمه، حسب وجهة نظر سيغموند فرويد، فقد تعود عليه، وعندما يخرج منه يواجه واقعاً مختلفاً يجبره على التكيف، أما الهجرة الثانية فهي الفطام، فالثدي يشعره بالدفء، وعند مغادرته ثدي أمه يشعر بالألم، مستغرباً تصرفات أمه التي لطالما حنت عليه بتلقيمه ثديها الحنون، وهذا ما يحدث مع المهاجر، خصوصاً غير الشرعي، حيث تشكل الهجرة، من وجهة نظر التحليل النفسي خبرة صادمة، إذ يتعرض المهاجر لمخاوف تنتج عن فقدانه حالة التآلف مع قواعد المكان الجديد، فيعيش مشاعر عميقة من الخوف تجعله يستسلم لحالة من الوحدة والعزلة.

إشكالية "الاندماج"

من أهم الاضطرابات النفسية التي يعاني منها المهاجرون غير الشرعيين اضطراب ما بعد الصدمة، بالإضافة إلى تجارب ضاغطة تؤثر على الصحة والأمن النفسيين، نتيجة المعاناة من صعوبات الاندماج والتكيف مع المجتمع الجديد، التي تولد لديه شعوراً بالعزلة الاجتماعية والنفسية.

ومن التحديات التي تواجه المهاجر ما يطلق عليه اسم "الاندماج" في المجتمع الجديد.

حيث يعاني المهاجر من مشكلات نفسية واجتماعية نتيجة الاختلاف بين المجتمعات، والانتقال إلى مجتمع جديد له لغته وتقاليده وعاداته وقيمه، فيصعب على بعض المهاجرين التواصل مع المجتمع الجديد وتحول صعوبة الاندماج بين المهاجر وإمكانية التكيف والتأقلم مع هذا المجتمع، مما يخلق لديه شعوراً بالعزلة النفسية والاجتماعية، فهو في مجتمع غير مجتمعه وبيئة غير بيئته، يعيش بعيداً عن منزله وأهله وأصدقائه الذين ربما فقد بعضهم، فيشعر بالحزن والأرق والقلق والخوف من المجهول.

يعيش المهاجر مشاعر الحرمان والحنين إلى الوطن والتفكير فيه واستعادة ذكرياته، وقد يترافق معه الحزن والأرق وفقدان الشهية وحالات من القلق، مما يدفعه إلى تعاطي الكحول أو المخدرات، لتخفيف حالة التوتر والاكتئاب والقلق، ومحاولة منه أيضاً لمجاراة المجتمع الجديد، مما يؤثر على هويته ويدفعه لممارسة أساليب دفاعية مثل ارتداء الأزياء الوطنية لبلده والاستماع لموسيقاه وأغانيه والتحدث بلهجته، بينما يعيش آخرون عدم الشعور بالأمن والانتماء واحترام الذات والإحباط، مما يدفعهم أحياناً للتفكير في الانتحار.

ورغم أن الهجرة تشكل لدى البعض حلاً لمشاكلهم، ويرى آخرون فيها فرصة لتحقيق طموحاتهم، إلا أنهم عندما يصلون البلد الجديد يواجهون العديد من التحديات مثل التمييز في العمل والسكن والأجور واللغة، لذا سرعان ما يشعرون أنهم في منفى، ولو كان اختيارياً.

وتتطلب الهجرة إلى البلد الجديد احتكاك المهاجر بأهل البلد الأصليين ومحاولة تطبعه بعاداتهم وأخلاقهم، لكن غالباً ما يواجه صعوبة في التكيف مع هذا الوضع الجديد، خصوصاً أن بعض وسائل الإعلام تقوم بدور تحريضي فتظهر المهاجرين بصورة مجرمين أو متطرفين إرهابيين، مما يؤدي إلى زيادة التعصب وتأجج مشاعر الحقد والكراهية، وخلق صورة ذهنية سلبية قد تتحول إلى صورة نمطية، تحول دون تواصل المهاجرين مع المجتمع الجديد بشكل فعال، الأمر الذي قد يؤدي إلى ظهور حالات من الاضطراب النفسي لدى البعض.

سؤال الهوية

تعتبر الهجرة من أقدم الظواهر البشرية التي ساهمت في إعمار الأرض وتلاقح الثقافات واختلاط المجتمعات، والدافع الأساسي للانتقال السكاني من مكان إلى آخر هو البحث عن حياة أفضل يسودها الاستقرار والطمأنينة والأمن النفسي وتلبية الاحتياجات الأساسية.

تبدأ الانعكاسات على نفسية المهاجر منذ اللحظات الأولى لعملية الهجرة غير الشرعية التي يضطر لخوضها عبر الحدود البحرية والبرية، والمخاطر التي يتعرض لها مع مافيات التهريب، خصوصاً عندما يتعرض "القارب" للغرق ومشاهدة الجثث وهي تطفو فوق الماء، فيشعر بالصدمة والخوف والعجز.

ومهما كانت جنسية المهاجر، فهو في النهاية إنسان لديه إرادة وهوية، وعندما يهاجر يعتبر

نفسه "منفياً". حتى لو كان هو من اختار ذلك المنفى، الذي حلم به ورسم صورة رائعة له، لكنه سرعان ما يصطدم بالواقع الجديد، فيبدأ بالشعور بالقلق أو الاكتئاب، وهي مشاعر تعبر عن الغربة والمرض. وهنا يبدأ الحنين إلى منزله الأصلي، وبلده الأصلي ويقلع في رحلته الطويلة للبحث عن هويته من خلال سؤال "من أنا؟".

وتتمثل الخبرة الصادمة، حسب "الرابطة الأمريكية للطب النفسي" في التعرض لحادث مؤلم مثل الموت أو التهديد بالموت أو إصابة شديدة، الأمور التي يتعرض لها المهاجر غير الشرعي في كل خطوة من خطواته تجاه "المنفى".

وتعتبر تجربة "قوارب الموت" في المتوسط من أخطر المراحل التي تصيب الناجين في صميم صحتهم النفسية وأمنهم النفسي. لذا نراهم يعانون من صعوبات في تحقيق توازنهم النفسي والشخصي، بالإضافة إلى عدم التوافق الاجتماعي مع المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه، ما يتسبب بإصابتهم بالضعف ويؤدي بهم إلى بعض الاضطرابات النفسية.

وهناك آثار سلبية تترتب على الهجرة نتيجة الضغط على المدن المستقبلة للمهاجرين، حيث ترتفع معدلات الجريمة من سطو ونهب وسرقة وتخريب للممتلكات العامة والخاصة والاعتداءات، كرد فعل من المهاجرين تجاه المجتمع وفقدانهم للاهتمام والرعاية والعناية والشعور بالمسؤولية، بالإضافة إلى فقدان الطمأنينة والأمن والأمل بالمستقبل.

خلخلة التوازن الاجتماعي

كما أن المكانة الاجتماعية التي كان عليها المهاجر قبل هجرته قد تكون سبباً في زعزعة توازنه النفسي، فبعض المهاجرين كانوا أصحاب مكانة اجتماعية محترمة: أساتذة، أطباء، مدراء وغير ذلك، وفجأة يجد المهاجر نفسه بعد المغامرة مرمياً في مراكز الاستقبال مع المهمشين والمصابين بشتى أنواع الاضطرابات النفسية والعقلية.

ويرى الاختصاصيون في مجال الطب النفسي أن الهجرة إلى الخارج، وبأعداد كبيرة، تركت أثراً نفسياً على المهاجرين يصعب محوها، وأن شريحة المراهقين والشباب هي الأكثر تأثراً، مما أدى إلى اضطرابات نفسية وسلوكية لديهم وساهم في خلخلة التماسك الاجتماعي نتيجة أنماط الحياة الجديدة والتناقضات في السلوكيات الاجتماعية.

وقد طرح هوفمان نوتني نظرية "النسق الاجتماعي"، التي تؤكد أن الإنسان كائن يحب الاستقرار بطبيعته، لذا يجب أن تكون هناك دوافع قوية للفرد أو الجماعة إلى الهجرة، التي تعتبر منفذاً ومخرجاً لحالات التوتر التي يعيشها في بلده الأصلي وشعوره بالحاجة إلى التغيير، لذا يرى في الهجرة إلى بيئة جديدة أفضل من تلك التي يعيش فيها تقلل من ذلك التوتر، لكنه يكتشف بعد قليل أن البيئة الجديدة تولد ضغوطاً وصراعات قد تؤدي إلى خلق حالات من التوتر النفسي وعدم التوازن.

وتفرق نظرية "النسق الاجتماعي" بين موقفي التكامل والتمثل، فالتكامل هو أن يشارك المهاجر في تبادل العلاقات في المجتمع الجديد، أما التمثل فهو توافقه مع ثقافة هذا المجتمع، لكن عليه أن يتنازل عن بعض مفردات ثقافته ومعاييره ويتبنى ثقافة المجتمع الجديد حتى يحقق ذلك التوافق.

وينظر علم النفس إلى الهجرة باعتبارها خبرة صادمة، سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، وهي بمثابة المنفى الاختياري في بعض الحالات والنفي الإجباري في حالات أخرى، لذا تكون لها عادة نتائج سلبية على شخصية المهاجر، في المقابل يرى البعض الآخر أنها البديل الأفضل للمشكلات وتقدم حلاً لأولئك الذين فقدوا الأمن النفسي.

الهجرة إلى الفضاء

ويبدو أن الحروب المندلعة في مختلف بقاع الأرض ستنهي الجنس البشري بحرب نووية، حسب وجهة نظر البروفيسور البريطاني ستيفن هوكينغ، أحد أبرز علماء الفيزياء النظرية على مستوى العالم، الذي يرى أن مستقبل الجنس البشري سيكون بعيداً عن كوكب الأرض، وفي مكان ما في الفضاء، ويعتقد "هوكينغ" أن مستقبل البشر على المدى البعيد يكمن في السفر إلى الفضاء، الذي قد يمنع زوال البشرية، وذلك عن طريق استعمار الكواكب الأخرى، وحث العالم الكبير البشر على أن يكونوا أكثر عاطفية، لأن العاطفة تجمعنا معاً في دولة آمنة متحابة، بينما أكبر فشل ارتكبه البشر هو "العدوان"، وإن حرباً نووية كبرى ستكون نهاية الحضارة، وقد تكتب نهاية الجنس البشري.

الهجرة من الريف إلى المدينة والتحضر الزائف 2/1

إعداد جمانة علي

ليست الهجرة ظاهرة جديدة، فمنذ بدء الخليقة هجر البشر بيوتهم بحثاً عن ظروف معيشية أفضل، أو خوفاً من الاضطهاد. لكن خلال العقود القليلة الأخيرة، غيرت التكنولوجيا المعاصرة معالم هامة للهجرة، فقد سهل انخفاض تكلفة وسائل الاتصال وسرعتها (الهواتف الجوالة والثابتة وشبكة الإنترنت وغيرها) إنشاء شبكات عمل عابرة للحدود، مما ساعد على إبقاء التواصل بين المهاجرين وأسرهم في الوطن، وكذلك بين المهاجرين إلى مختلف البلدان (مجتمعات عابرة للحدود).

أنواع الهجرة

-1هجرة داخلية، وهي انتقال الأفراد من مكان لآخر داخل حدود الدولة.

-2هجرة خارجية (دولية)، هي انتقال الأفراد من مكان إلى آخر خارج حدود الدولة.

ما حركة السكان، فهي انتقالهم إلى أماكن عملهم ثم العودة، أو انتقالهم لأداء فريضة الحج، أو حركة الرعاة بحثاً عن العشب.

أنواع الهجرة حسب البعد الزمني

-1دائمة: تكون إقامة المهاجر في المكان الجديد بشكل دائم.

-2مؤقتة: تكون إقامة المهاجر في المكان الجديد لمدة قصيرة، ثم يعود إلى وطنه مرة أخرى.

-3موسمية: تتم في مواسم معينة مثل (المصايف وهجرة العمال الزراعيين إلى مناطق أخرى خلال مواسم الجني والحصاد).

أنواع الهجرة حسب الرغبة

اختيارية: تتم بإرادة المهاجر بغرض تحسين مستوى المعيشة.

إجبارية، مثل:

-1هجرة سكان النوبة بعد غرق أراضيهم.

-2هجرة سكان مدن القناة عام ١٩٦٧.

-3الهروب من الإرهاب (هروب الفلسطينيين من الإرهاب الإسرائيلي).

نتائج الهجرة من الريف إلى المدن

أولا: النتائج الديموغرافية

١-تؤدي إلى تغير عدد السكان، حيث يزداد عدد سكان المناطق المستقبلة (المدن) مقابل المناطق المرسلة (الريف).

-2تؤدي إلى زيادة النمو الحضري، فقد ساهمت الهجرة بدور كبير في نمو المراكز الحضرية، فأصبح هناك عدم توازن بين الريف والمدن.

*لقد تغير نمط الهجرة فلم يعد المهاجر هو العامل البسيط أو الخادم، بل أصبح المتخصص المتعلم الذي يفيد المجتمع الوافد إليه.

*غالباً ما كان المهاجر يعود لبلده بعد فترة وجيزة، أما الآن فغالباً ما يكون هناك استقرار.

والتحضر الزائف هو هجرة الفرد دون الارتفاع بمستوى معيشته، فتصبح الهجرة مجرد تغير في محل الإقامة فقط.

*لقد أصبح نمو المدن في الدول النامية أكثر وضوحاً، وبلغ معدل نمو المدن في الدول النامية ٣,٦%، بينما لا يتعدى في الدول المتقدمة ٠,٨ %.

*يرجع هذا التدفق السكاني للمدن في الدول النامية إلى تطورها الصناعي.

*معدل النمو السكاني في الدول النامية يفوق مثيله في المتحضرة سواء في الريف أو المدن.

*مما تقدم يتضح أن هناك علاقة بين التحضر والهجرة في الوطن العربي.

*تعتبر الهجرة عاملاً مهماً في نمو المراكز الحضرية.

-3تؤدي إلى تغير التركيب النوعي والعمري للسكان:

أ- بالنسبة للتركيب النوعي، يكون أكثر الذين يستجيبون للهجرة هم الشباب الذكور، بسبب توافر فرص عمل تناسب الذكور أكثر من الإناث.

*كذلك تعمل الصناعة على جذب تلك العمالة من الذكور.

*تختلف الصورة في الدول المتقدمة، حيث ترتفع أعداد الإناث في المدن عن الريف لتوافر فرص عمل للإناث.

ب- من حيث التركيب العمري: الفئات من ١٥ - ٣٥ سنة هي التي تهاجر، وتوضح الدراسات أن الشباب يزيد في المدن عن الريف فيما يقل الأطفال والشيوخ في المدن.

*تؤثر هجرة الشباب من الذكور على الريف، حيث يقل شباب الريف وترتفع نسبة الصغار والشيوخ.

المشاكل التي ترتبت على النمو الهائل للمدن

أ- ظهور العشوائيات وعلب الصفيح. ب- نقص الخدمات .

ج- اختلاف عدد سكان المدن بالليل عن النهار بسبب رحلة العمل اليومية.

ثانياً - النتائج الاقتصادية

أ - بالنسبة للمدن

-1أصبحت وسيلة لاستيعاب فائض العمالة في الريف.

-2نشأت حرف جديدة في المدن لسد مطالب المهاجرين.

-3توجية الاستثمارات للمدن لإنشاء المشروعات.

-4ارتفاع مستوى المعيشة في المدن بسب ارتفاع الأجر عن الريف.

-5زيادة الضغط على العمال في المدن ووجود بطالة.

ب- بالنسبة الريف

-1نقص الأيدي العاملة الزراعية وانخفاض الإنتاج.

-2ارتفاع أجر العمال الزراعيين نتيجة لزيادة الطلب عليهم.

-3افتقار الريف للكفاءات العلمية.

-4ارتفاع عدد المعولين في الريف (الشيوخ والأطفال).

ثالثاً - النتائج الاجتماعية:

أ- على الريف

-1زيادة أعداد الإناث، وظهور مشكلات اجتماعية.

-2عدم وجود فائض في الاستثمار للتطوير.

ب- على المدن

-1ظهور المناطق العشوائية التي تفتقر الخدمات .

-2ممارسة المهاجرين من الريف لعاداتهم وحدوث صراعات اجتماعية.

-3تقليل قدرة بلديات المدن على الوفاء بمتطلبات السكان.

-4انتشار البطالة وكثرة الجرائم.

من أهم أسباب هجرة الريفيين إلى المدينة:

-1انتشار الفقر وانخفاض مستوى المعيشة.

-2تدني مستوى الخدمات الصحيحة والاجتماعية.

-3انتشار البطالة لصغر الملكية بالنسبة للسكان.

-4انخفاض أجور العمال الزراعيين.

-5انخفاض خصوبة التربة وتعرضها للتجريف.

-6ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية في الريف عن المدن.

ومن أهم أسباب جذب المهاجرين إلى المدن:

-1ارتفاع مستوى دخل الفرد .

-2توافر فرص العمل لأعداد كبيرة ولجميع المستويات.

-3توافر الخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية.

-4مركزية الإدارة في المدن الكبرى.

-5رغبة الفرد في تحسين مستوى دخله.

-6ازدهار الحياة الاقتصادية.

-7الإحساس بأن الفوائد التي يحصل عليها الفرد تفوق ما يحصل عليه في الريف.

مراحل الهجرة من الريف للمدينة:

-1التفكير في الهجرة. ٢- الإعداد .

-3اتخاذ القرار. ٤- الهجرة الفعلية.

من الذى يهاجر؟

الذكور متوسطو الأعمار والمتزوجون حديثاً، ومعهم أطفال صغار السن، وهم من ذوي المستوى المعيشي المنخفض، فيعشون على أطراف المدن، مما يؤدي إلى ظهور مدن الصفيح.

تيارات الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن في العالم:

*أقدم تيارات الهجرة كان في بريطانيا بعد الثورة الصناعية، ثم انتشرت بعد ذلك في باقي دول أوربا مع انتشار الصناعة.

*تختلف الهجرة من حيث الحجم من دولة لأخرى حسب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

*تركزت تيارات الهجرة في الدول النامية في الفترة من ١٩٥٠-١٩٨٠، حينما أخذت هذه الدول بأسلوب التصنيع في تلك الفترة بعد أن تخلصت من الاستعمار.

الهجرة من الريف إلى المدن في الولايات المتحدة كنموذج:

*تعتبر من مظاهر الهجرة الداخلية في العالم، إذا يهاجر شخص من كل خمسة أشخاص

ويغير محل إقامته كل عام.

*يتحرك السكان دائما من ولايات الغرب بعكس ولايات الشمال والشمال الشرقي المستقرة نسبياً.

*يوجد في أمريكا تيارات مختلفة للهجرة وهي على نوعين:

أ- الهجرة من الريف إلى المدن بصفة عامة، وهي ظاهرة تضخم المدن الكبرى، فمثلا تم تقدير المهاجرين من الريف إلى لوس أنجلوس من ١٩٥٠ - ١٩٦٠ بحوالي ١,٥ مليون نسمة، لدرجة أن بعض مدن الساحل الغربي قد فقدت سكانها .

ب- هجرة الأمريكيين السود من ريف جنوب الولايات المتحدة إلى مدن الشمال، وقد تواصلت تلك الهجرة حتى بعد تحرير العبيد، لأن الجنوب ظل يمارس التفرقة العنصرية، وكان الشمال أكثر تسامحاً، مما أدى إلى تغير توزيع الأمريكيين من أصل أفريقي من ١٠% سنة ١٩١٠ في الشمال والغرب إلى ٤٠% سنة ١٩٦٠.

*إذا كان عدد الأمريكيين السود الذين هاجروا من الجنوب للشمال منذ الحرب العالمية الأولى حتى سنة ١٩٦٠ يقدر بخمسة ملايين أمريكي من أصل أفريقي، فإن ثلاثة ملايين منهم هاجروا في الفترة من ١٩٤٠ - ١٩٦٠.

*لقد كان العامل الاقتصادي إلى جانب العاملين الاجتماعي والإنساني وراء هجرة الأمريكيين من أصل أفريقي من الجنوب إلى الشمال.

أكبر إبادة عرقية في التاريخ 2/1

■ الهنود الحمر دفعوا فاتورة الخرافات التوراتية الإسرائيلية

■ السبي البابلي قصة لا وجود لها خارج التوراة وأسفارها

مها مصطفى - القاهرة

السبي البابلي فكرة خرافية تضع فلسطين وأصولها الكنعانية في موضع الاتهام، وإبادة الهنود الحمر في أمريكا فكرة إسرائيلية حديثة تعيد نسج الحكاية والانتقام من الكنعانيين الجدد لتحقيق مملكة الرب الخرافية. كيف يمكن قراءة سفرين بينهما تاريخ طويل وجغرافيا متناثرة إلا إذا فهمنا العقل الانتقامي الذي يؤمن باختياره من قبل السماء، وأنه لذلك لا بد من التضحية بالآخرين؟

في بحثه المهم عن الهوية الفلسطينية يذهب الباحث الفلسطيني أحمد الدبش إلى أن السبي البابلي لم يحدث في فلسطين، ويقول في كتاب موجز تاريخ فلسطين، الذي صدر مؤخراً في القاهرة، أن أصحاب الفكر المؤيد للصهيونية من الأكاديميين لا يزالون، يشددون على أن غزوة نبوخذ نصر أو ما يعرف بالسبي اليهودي، حدثت في فلسطين، على الرغم من أن التنقيب الأثري الذي قلب تراب فلسطين لم يؤدِّ إلى أثر يربط غزوة نبوخذ نصر بها، ولم تتوافر لدى الباحثين الثقاة أية نصوص أو نقوش بابلية تشير إلى الحملة البابلية بقيادة نبوخذ نصر على فلسطين وبالأخص مدينة القدس وتدميرها. لكن السؤال المطروح: أين وقعت غزوة نبوخذ نصر وسبي اليهود، الذي يسمى "السبي البابلي"؟

تسجل التوراة في سفر الملوك الثاني (٢٣:٣٦): "كان يهوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل آباؤه".

"في أيامه (يهوياقيم) صعد نبوخذ نصر ملك بابل، فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين، ثم عاد فتمرد عليه. فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين، وغزاة الآراميين، وغزاة الموآبيين، وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء، ثم اضطجع يهوياقيم مع آبائه، وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه. ولم يعد ملك مصر أيضاً يخرج من أرضه، لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر. كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم، في ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذ نصر ملك بابل

إلى أورشليم. فدخلت المدينة تحت الحصار. وجاء نبوخذ نصر ملك بابل على المدينة. وكان عبيده يحاصرونها. فخرج يهوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل. هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه. وأخذه ملك بابل السنة الثامنة من ملكه. وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس. عشرة آلاف سبي. وجميع الصناع والأقيان. لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض. وسبى يهوياكين إلى بابل. وأم الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الأرض. سباهم من أورشليم إلى بابل. وجميع أصحاب البأس. سبعة آلاف. والصناع والأقيان ألف. وجميع الأبطال أهل الحرب. سباهم ملك بابل. وملك ملك بابل متنا عمه عوضاً عنه. وغير اسمه إلى صدقيا".

وبحسب التوراة انقسم الرأي بين أبناء أورشليم: فريق يدعو لمحاربة بابل ونبوخذ نصر. وفريق يدعو إلى عبودية بابل. وأهم هؤلاء كان إرميا النبي. تقول التوراة في سفر إرميا: "هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: وبكن أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذ نصر ملك بابل عبدي. والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل. إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء. يقول الرب. حتى أفنيها بيده. وكلمت صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام. قائلاً: أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه وحيوا. اخدموا ملك بابل واحيوا. لماذا تصير هذه المدينة خربة".

وفيما عدا أسفار التوراة لا توجد مصادر أثرية حقيقية تدعم الرؤى الصهيونية التي ترى أن السبي البابلي حدث في فلسطين. وإذا كانت مرويات التوراة لا تصلح وحدها مصدراً تاريخياً. ولكن بالاستناد إلى روايات الإخباريين العرب نكتشف أن هناك شبه إجماع على أن نبوخذ نصر (بختنصر). وهو إمبراطور بابل. جرد بالفعل حملات عسكرية وصلت في مداها إلى أرفع جبال اليمن وأعزها. وهو جبل النبي شعيب المعروف تاريخياً باسم جبل حضور. وهو جبل باليمن لحمير سمي بساكنة منهم. وهم ولد حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حميد الأصغر.

والأرجح أن غزوة نبوخذ نصر كانت باتجاه الجزيرة العربية. وقد وصلت في توغلها داخل شبه الجزيرة العربية إلى التخوم الغربية للهضبة اليمنية. أما ما ذكر عن أنهم هربوا إلى أورشليم طلباً للنجاة. فمن المحتمل أنهم هربوا من وجه حملة نبوخذ نصر أي من تيماء. باتجاه أورشليم اليمنية طلباً للأمان والسلامة. لكن نبوخذ نصر استمر في غزواته حتى وصل إلى أرفع جبال اليمن. جبل حضور.

ويشير المؤرخ التاجر "ابن المجاور" في كتابه الشهير "تاريخ المستبصر". الذي كرسه لتاريخ وجغرافية اليمن ومكة والحجاز. إلى السبي البابلي بقوله تحت عنوان ذكر نهر السبت: "قال أهل الذمة إنه في أرض التيه. وحدثني يهودي صائغ بعدن قال: إن نهر السبت في أرض يقال لها صيون. والأصح أنه في الحجاز. ظهر وهو نهر رمال سيال يجري من ليلة الجمعة إلى غداة يوم السبت لم يقدر الإنسان أن يعبره من شدة جريانه في ذلك اليوم. ويسكن باقي الأسبوع. وراء هذا النهر من اليهود مائة ألف ألف رجل وامرأة. وهم زائدون عن العد خارجون عن الحد. والقوم عرب يعقدون القاف الألف في لغتهم. وفي جملة القوم أولاد موسى بن عمران عليه السلام. ويقال إنما حصلوا هؤلاء اليهود في هذه الأرض والأعمال إلا من غزوة نبوخذ نصر البابلي لليهود بأرض الشام وديار مصر".

لكن الإسرائيليين أو الفكر الإسرائيلي جعل من السبي قصة فلسطينية ليجعل من الكنعانيين ضحايا دائمين لكل أفكاره العنصرية كما سنرى بعد ذلك في قصة أمريكا.

ففي كتابه "أمريكا وحرب الإبادة". يكشف الباحث والكاتب منير العكش القانون الأساسي الذي اعتمدته مجموعة الغزاة للأرض الجديدة وممارسته بوحشية في أكبر مجزرة إبادة في التاريخ وهو حق "التضحية بالاخر".

وفي كتابه الثاني "تلمود العم سام" يكشف العكش القانون الثاني المؤسس للخطاب الأمريكي منذ النشأة وحتى الآن. حيث يؤكد أن أمريكا فكرة "إسرائيلية" خرجت من نصوص التلمود وتم تطبيقها بقوة السلاح في مزج بين العنف والمقدس.

ويصف العكش في كتبه ما حدث لأبناء أمريكا الأصليين. الإبادة الأعظم في تاريخ البشرية المعروف. حيث قضى فيها أكثر من ١١٢ مليون إنسان. منهم ١٨,٥ مليون إنسان في المنطقة التي تسمى بالولايات المتحدة.

ويرى أن كل أخلاق الإبادة استمدها الغزاة من اعتقادهم بأنهم "إسرائيليون" وأن ضحاياهم الهنود كنعانيون. ولهذا فقد أطلقوا على العالم الجديد اسم "اسرائيل الله الجديدة" واسم "صهيون" واسم "كنعان الإنجليزية". واسم "مدينة على جبل (القدس)". واستعاروا كل فكرة أمريكا من فكرة "إسرائيل" التاريخية بعناصرها الثلاثة: احتلال أرض الغير بعهد مزور مع السماء. واستبدال أهل البلاد المحتلة بالشعب المحتل أو استبعادهم. واستبدال ثقافتهم وتاريخهم بثقافة المحتل وتاريخه.

للصحراء حكايا بعدد حبات الرمل

خديجة بلوش - المغرب

للصحراء حكايا بعدد حبات الرمل، بعدد النجوم التي تزين السماء، بعدد النسمات الحارقة نهاراً وعددها لطيفة في المساء، للصحراء كذلك شخصيات تعبر بنا إلى ما وراء الحقيقة في قالب أسطوري، يموه الواقع، ويجعل اللاوقع جميلاً يعاش. وأبو زيد الهلالي حكايته تفوق الخيال، الملحمة كانت نتاج واقع صعب امتزج بخيال خصب للقبيلة، بحث مستمر عن الماء والكلأ ومكان لنصب الخيام، أفراد يسلكون الطريق المعبد بالمخاطر للعيش، ظروف ليست دائماً كما يرغبون، صِدام وحيل، حروب صغيرة وكبيرة، ولادات وموت، بحث عن وريث يستمر في لعبة الحياة والقيادة، أب يعزز نفوذه بالزوجات والأبناء، نسل تكثر فيه الإناث في عصر لا يعترف إلا بالذكر وريثاً، زواجه من ابنة أمير وهو الأمير ليرزق منها بما تمنى، شكٌّ يساوره في النسب ليطرد الأم وابنها الرضيع دون أن يراه لأن بشرته سمراء، احتماء الأم بطرف ثالث كي لا تعود إلى مضارب قبيلتها بعار التصق بها ونبوغ يظهر على الطفل وشدة وبأس، وقد قيل إنه قتل معلمه وهو ابن سبع سنين.

في هذه القصص هناك دائماً جانب مبهم وآخر تكثر فيه التفاصيل حد الملل، ومبارزات بالحرف والسيف على حد سواء، من يقرأ الملحمة أو يسمعها من الرواة، لايملك إلا أن يحفر لدهشته كي تسير على مهل ليروي فضوله.

تبقى القبيلة الانتماء الأكثر واقعية، ويبقى الولاء لها مما يشرف كل منتمٍ إليها، وفارسنا أو لنسمّه "البطلَ الأسطوري" استخدم قوته ودهاءه ليسير بشعبه في بحور الحياة بخسائر أقل، التنقل كان وسيلتهم الأنجع لتفادي قلة الماء، ولتوفير وطن يتنقلون فيه بحرية أكبر، ويستمدون منه قوة الاستمرار إلى أن تأذن آلهة الترحال بالعبور لوجود آخر.

وفي خضم الترحال والفروسية والحروب هناك دائماً جانب يشبه النسمات الباردة في قيظ الصحراء، قلب يعشق ويفعل المستحيل ليلتقي بمن يحب، الفارس الأسطوري وقصة عشقه لعليا الفاتنة، حكايات عدة نسجت عن الإثنين، نورد منها الآتي:

صادف أبو زيد عليا وافتتن بجمالها، فوقعت في قلبه واستقرت، وقرر أن يتزوجها، لكن كان ثمة عقبة، وهي أنه لا يحق له الزواج إلا من فتاة من قبيلته، وعليا كانت من قبيلة أخرى، حاول أن يقنع الأمير ليخطبها له، وبعد محاولات عدة رضخ الأمير لطلب أبي زيد، وذهب لرؤية هذه الفاتنة التي سحرت الفارس وجعلته يسعى جاهداً للاقتران بها، وما حدث كان قصة أخرى، إذ إن الأمير افتتن بها بدوره، لدرجة أنه أنشد يقول لمرافقه:

أبا العلا قُدْ لي مع الدرب ناقتي.. بحسناك وإلا نادِ لي من يقودها

يقولون لي عليا نشاش دقاقه.. وأنا أقول ربان من ألغي عودها

إذا وقفت دق العسيلي بوركها.. وإن دنقت ما رده إلا نهودها

قولو لطراد الهوى يطرد الهوى.. وأنا كفيلك عن بلاوي حسودها

قولوا لأبي زيد يأخذها

وتحققت أمنية أبي زيد وتزوج بمعشوقته.

القبيلة أفراد يكمل بعضهم بعضاً، ويقدمون بعضهم على بعض في الشدائد، وهم كالبنيان

الذي يشتد ضد العواصف، ولأبو زيد من أفراد قبيلته أشخاص ربما لم تكن قصته لتلاقي هذا الانتشار لو نقص منهم واحد، والقصة التي قيلت عن ابن خاله عزيز مؤثرة، وهي أنه ذات جفاف ساقوا البعير ليروووها من بئر، ونزل ابن الخال ليملأ الدلو فقرصته حية، فقال له أبو زيد:

سمعت منك يا فتى الجود ونة.. عساك منها يا فتى الجود سالم

فرد عليه:

يا خال خلّ الدوح والنـوح خلـه.. واعمل بقبري يا عطيب الضـرايب
خل القبر في رأس عيطاً طويلـه.. وسيفي ورمحي حطهن لي نصايب
أغدي بنـات الهلاليـة يجني.. يجذن على قبـري بروس الذوايب
وداعتك يا خـــال ورعٍ صغيرٍ.. يلعب مع الصبيان وأبـوه غايب
احذرك أنا يا خال عن ضربه العصا.. أو نهـرةٍ تودع قلبيـه حطايب
وقـولوا لبنت أمي تغطى وتستحي.. ليا جولها الخطاب فوق النجايب
وقـولوا لبنت العم ترحل لأهلها.. حرم عليها اليوم شـوف الحبايب

وقد رثاه بقصيدة حين دفنه، وتستمر الحكاية...

الماشية عند القبيلة هي الثروة الأساسية، وللحفاظ عليها فهم مجبرون على توفير الماء والكلأ ومراع لا تجف ولا تنضب، وهذا يجعلهم في بحث مستمر عن مساحات خضراء، وإن كانت في أماكن لم يسبق لهم أن وطئتها أقدامهم، بل إنهم قد يخوضون حروباً في سبيل توفيرها، وقد قرر أبو زيد أن يستكشف أرضاً جديدة وهو محاط بأبناء الأمير.

وجهتهم كانت تونس، وقد وصلوها سالمين، إلا أن حاكمها توجس منهم شراً وسجنهم إلى حين التأكد من نواياهم، وقد عرف عنهم أنهم ما إن يدخلوا بلداً حتى يعيثوا فيها خراباً، وفي خضم الاعتقال تنبثق قصة أخرى تكون سبباً رحيماً في فك العزلة عنهم وإطلاق سراحهم، وهي أن ابنة الحاكم أغرمت بأحد الشبان المسجونين، مما جعلها تقف في صفهم وتفكهم من الأسر رغم ما خلفه هذا الأمر من تباعد بينها وبين والدها الذي اكتشف خيانتها.

ولا تتوقف قصص العشق في قبيلة بني هلال عند النهايات السعيدة، فقصة تلو القصة تأتي إحداها بفاجعة تجعل شخصاً ما يتجرع الندم، وهذه قصة زيد وغريسة وأخيها عامر من قصص بني هلال:

عشقت هذه الصبية زيداً، وبادلها الهيام، ولكن حدث أن تدخل أحد المعروفين بحبهم لبث الفوضى والخصام، ونقل لشقيقها ما مفاده أن شرفه يمرغ بالتراب، فما كان منه إلا أن تسلل خلفها ذات ليلة حين كانت تهم بوداع زيد، وجز رقبته فيما اقتادها إلى كهف بعيد، وصار كل يوم يفصل عضواً من جسدها بسيفه، إلى أن ماتت بعد أيام، وقد وجدت في الكهف قصيدة كتبتها بدمها، ولم تلمّ أن تمدح شقيقها، ما أجج في قلبه عاصفة ندم وحزن جعلته ينقطع عن كل شيء حتى مات غماً على فراق أخته، وهذه هي القصيدة:

قالت غريسة زينة القول والنبا فجاني زماني والمقدّر دهانيه
تهاويت مع زيد وطابت لياليا ثمان سنين في طرابه وأمانيه
هاواني وهاويته على الونس والهوى وقطفنا ثمر ما لاق والنفس فانية
سقاني شراب من ثمانه وأنا بعد سقيته شراب صافي من ثمانية
يا ليت زيد طاعني يوم أقول له أسر وكل الناس في النوم هانية
ولا طاعني والأمر ما فيه حيلة غشا زيد حلو النوم وأنا غشانيه
ولا انتهبت إلا إن زيد ضحية نعيته ولو هو حيّ نعانيه
ولما اقطعوا رجلي تراكبت بالعصا على جال قبره قلت ما جاه جانيه
وبعد اقطعوا الأخرى تدربت جثّتي على قبر زيد وقلت هذا مكانيه
إلى مت ما سايلت عن وابل الحيا ولا من حفر قبري ولا من نعانيه
عفا الله عن زيد عشيري ذنوبه ولو هو عصاني يوم أقول إسر ثانية
محا الله عن زيد عشيري ذنوبه ولو كان في حوض المنية رمانيه
يا حافر للقبر وسّع جوانبه على جانبٍ من زيد لا تبعدانيه
المقصد إني ما أقوله بخاطري أبي إلى جاء الويل زيد سقانيه
أوصّيك يا نقر الصفا لا تغرّني إن جو عربٍ واردين شنانية
يا مدوّر زيد ترى زيد عندنا ذبيح العمر هذا سبب كل جانية
أخوي عامر يعطي القوم عمره شجاع وياما من نهار حمانيه
مثل عامر توسم به الإبل والغنم وزيد كفى عن ربعي إلا ثمانية
أبوي وأخوالي وعمي وعزوتي وذبح الشفايا في عشيري هنانيه

الشعر في زمن البحث عن الوجود يصبح لعنة ومتعة، ويصبح مفتاحاً لكسر الأقفال العنيدة، وبساطاً سحرياً تحلق به الثقافات، لتنتشر حتى بعد اختفاء الشخصيات التي يغلب عليها الخيال، والملحمة باقية مابقيت القصائد.

الأدب الإيراني في المهجر

مريم الحيدري

كما هو الحال بالنسبة لكل ما يتعلق "بأدب المهجر" في العالم، هناك أدب مهجري إيراني حقيقي من حيث المعايير والمقاييس المتفق عليها حول ما يمكن تسميته "أدب المهجر"، يكتب خارج حدود البلاد، وهناك كتاب مهاجرون فقط، ولا تحمل نصوصهم سمات الأدب المهجري.
يعتبر "سنوحي" الطبيب الملكي في البلاط الفرعوني، أول منفي في الألفية الثانية قبل الميلاد، وقد قال: "بالكاد قلعت نفسي من التربة التي كنت واقفاً عليها!". فالهجرة وما يترتب عليها من العيش في بيئة جديدة ومختلفة، الهويات التي تترك هناك، اللغة الجديدة والعادات، كلها تؤثر بشدة على الكاتب المهاجر.

وقد تكون مقدرة الكاتب أو الشاعر المهاجر أو المنفي على التلاؤم مع البيئة الجديدة كبيرة، فيكتب ويخلق أعمالاً إبداعية بالفعل، لا تكون حديث نفس حزين، أو مرور ذكرياته في الوطن والحنين إليها، فلا أظن أن هناك من يقرّ بأنه يمكننا أن نسمي مثل تلك النصوص "أدب المهجر"، سواء كانت تلك الكتابات بلغة الأم أو بلغة الآخر.

موجة هجرة الأدباء والمثقفين في إيران تعود إلى قرون عدة، أي بعد دخول الإسلام، ثم هجوم المغول في القرن السابع للهجرة، غير أن الهجرة الكبرى والنفي السياسي في التاريخ الإيراني، كان بعد حكم السلسلة الصفوية (٨٨٠ - ١١٠١ للهجرة)، فقد غادر كثير من الشعراء والكتاب البلاد، ومعظمهم هربوا إلى الهند، وفي الوقت الذي اقتضى الأمر أن يكتب الشعراء مدائح أو مراثي للأئمة تنفيذاً لأوامر السلطة، كتب الشعراء الذاهبون إلى الهند شعراً غزلياً مختلفاً، مليئاً بالأوصاف والتشابيه، أسس لما يسمى "بالأسلوب الهندي" في الشعر الفارسي.

هناك الكثير من الكتاب الإيرانيين هاجروا في بدايات القرن العشرين إلى الغرب كنظرائهم من كتاب الشرق، وتأثرت نصوصهم بالمهجر، وقد يكون أبرز هؤلاء الروائي الإيراني ومؤسس الرواية الإيرانية "صادق هدايت"، صاحب الرواية الشهيرة "البومة العمياء"، ثم كانت هناك موجة كبيرة للهجرة بدأت بعد الثورة الإسلامية في إيران ولا سيما في ثمانينات القرن الماضي.

ما يميز أدب المهجر عما يكتب في الوطن على الأغلب هو الموضوع، واللغة، وقد يكون أبرز الكتاب الإيرانيين الذين كتبوا في المهجر من الروّاد "صادق هدايت"، "بُزُرك علوي" و"صادق جوبَك"، إلا أنهم لم يطوروا أدب المهجر من حيث المضامين بقدر اهتمامهم بطرق السرد واللغة، كما أن هناك الكثير من الكتاب الإيرانيين الذين اكتفوا بكتابة ذكرياتهم في الوطن وهم يعيشون في بلد آخر، فأدب المهجر في الحقيقة هو الذي يتناول حياة المهاجرين أو المهجّرين، تحديات الحياة في البيئة الجديدة، وأوضاعهم في البلد الجديد، وليس ما يفكرون به هناك، وما يتذكرونه عن الوطن الذي غادروه مخيرين أو مكرهين.

ويمكن الحديث هنا عن الكاتبة "كُلي تَرَقي"، والتي تكتب خارج إيران إلا أنه لا يمكن وضع كتاباتها في خانة أدب المهجر، لما تحمله من أسلوب يشبه كتابة السيرة الذاتية، وغالباً ما تتناول ماضيها في كتاباتها هذه، الكاتب المهجري في الواقع يجد نفسه أو يبحث عنها في برزخ بين الماضي

والمستقبل، وغالباً ما تنعكس آثار الحياة في هذا البرزخ في كتاباته، غير أن الماضي هو الزمن الأهم في أعمال مثل هؤلاء الكتاب، ولا أثر أو ليس ثمة أثر بارز للمستقبل، ورؤيتهم له في نصوصهم.

تبدأ "ترقي" في قصصها من اللحظة الراهنة، إلا أنها سرعان ما تعود إلى الماضي، ثم إلى الحال، تقع معظم أحداث هذا الماضي في إيران، وخلال سنوات الطفولة والمراهقة من عمر الكاتبة، وتحاول الكاتبة في قصصها التي تجري في الماضي أن تركز على هويتها، وترسيخ هذه الهوية، إلا أنها لا تحاول أن ترسم لها أي ملامح مستقبلية.

تتناول الكاتبة الفوارق الثقافية بين بلدها وشعبها، وبين فرنسا والشعب الفرنسي، غير أنها لا تبحث خلال تناولها هذه الفوارق عن المستقبل، وكل ما يمكن ملاحظته في قصصها هو أن الثقافة المهيمنة على نصوصها وفضائها هي الثقافة الإيرانية، دون أن تتفاعل مع ثقافة الآخر، أو تحاول الانخراط فيها، لقد عبرت الحدود الجغرافية فقط دون أن تتجاوز الحدود الثقافية، اللهم إلا في بضع قصص تعكس تحديات الراوي، والشخوص في القصة، فشخوص قصصها هم عادة أشخاص يعيشون في الهامش في البيئة الجديدة، وهروباً من الشعور الناتج عن عيشهم في الهامش، لا

يحاولون أن يبنوا علاقة مع المتن، بل يحلقون في خيالهم إلى زمنهم الماضي في وطنهم حيث لم يكونوا هناك في الهامش. ويجدر الذكر أن الحديث عن نتاج هذه الكتابة من حيث انضوائه تحت مسمى "الأدب المهجري"، وليس من حيث قيمته الأدبية.

ويسبق "ترقي" في مثل هذه النزعة رائد القصة القصيرة في إيران "محمد علي جمال زاده" (١٨٩٢-١٩٩٧)، الذي قضى معظم سنوات عمره في سويسرا، وكتب القسم الأكبر من قصصه هناك، إلا أن نصوصه لا تندرج ضمن أدب المهجر، لبنيتها، ولوقوع أحداث قصصه في إيران.

ففي الرواية والقصة ينبغي أن يشعر القارئ بعد انتهائه من القراءة أن العمل سيكون مختلفاً عما قرأه إن كان الكاتب ألفه في بلده أو وطنه، ويجب أن يلاحظ ذلك في الفضاءات، الأجواء، اللغة، الشخوص أو البنية. على سبيل المثال هناك قصة للكاتب الإيراني "نسيم خاكسار" يتحدث فيها عن راهبتين تطرقان باب مهاجر وصل مؤخراً إلى هولندا، ولم يستطع التواصل والحديث معهما، ويمكن لقارئ هذه القصة أن يلاحظ الحيرة والذهول اللذين يعتريان المهاجر، وقد وصفها وعبر عنها الكاتب بشكل جميل.

ومما يمكن الإشارة إليه من الأعمال الناجحة في أدب المهجر الفارسي بعد الثورة الإسلامية في إيران، رواية "مجاراة الأوركسترا الليلية للأخشاب" لمؤلفها "رضا قاسمي"، والتي صدرت في البداية عام ١٩٩٦ في أميركا، ثم حصلت على تصريح لصدورها في إيران فصدرت عام ٢٠٠١، وكتاب آخر للكاتبة "مَهْستي شاهرُخي" المقيمة في فرنسا، تحت عنوان "شال بطول طريق الحرير"، وقد حاز الكتاب على جائزة الكتاب والنقّاد الصحفيين في إيران، ويتميز كلا الكتابين بمعايير أدب المهجر، فضلاً عن أسلوبهما الجميل، ولغتهما الشيقة.

ومن النماذج الناجحة الأخرى على هذا الصعيد يمكن الإشارة إلى مجموعة قصصية للكاتبة "سودابه أشرفي" تحت عنوان "أراك غداً"، و"قصيرة مثلي" للكاتبة "بَرتو نوري علاء"، و"الرمادي" للكاتبة "مِهرنوش مزارعي"، و"الشارع الطويل" للكاتب "محمود فلكي"، و"برسبوليس" للكاتبة "مرجانه ساترابي" والتي حولتها إلى فيلم رسوم متحركة.

في مجال الشعر هناك شعراء من الجيل الأدبي الحديث في إيران كتبوا نصوصاً جميلة وناجحة في أدب المهجر، لم يكن ممكناً لكل منها أن تكتب إلا في بيئتها الغربية الخاصة بها، ومن أولئك الشعراء "عباس صفاري" في ديوانه "الكاميرا القديمة"، و"مجيد نفيسي" في ديوانه "أهل فينسيا"، و"منصور خاكسار" في ديوان "أهل لوس أنجلوس."

وفيما يتعلق بالكتّاب الذين غادروا البلاد بعد الثورة الإسلامية، فإنهم حاولوا خلال هذه العقود أن يجدوا بعضهم البعض، ويقتربوا ويتواصلوا، ومن أهم هؤلاء، وهم كتاب وشعراء بارزون في الأدب الإيراني: الشاعر والروائي "رضا براهني"، الروائية "شهرنوش بارسي بور"، الروائي "قاضي ربيحاوي"، الكاتبة "آذر نفيسي" والشاعر "إسماعيل خوئي". وقد نشرت كثير من أعمالهم خارج إيران، وأحياناً في الصحف والمجلات الأدبية التي تنشر داخل الأراضي الإيرانية.

ثم هناك كتاب ينشرون أعمالهم لا سيما في السنوات الأخيرة في بعض المواقع الإلكترونية التي تتم إدارتها من خارج البلاد، أو في إطار كتب يتم بيعها عبر هذه المواقع، ومن أشهرها موقع "ناكُجا" (اللاأين)، ومن أجمل ما نشر في هذه المواقع قصص للكاتبة "مرضية ستوده."

ويبقى القول إن هناك عدة مجالات في ما يخص أدب المهجر الفارسي أو الإيراني، أهمها ما يتعلق بالكتاب الأفغان الذين يكتبون أدب المهجر باللغة الفارسية، أو بلغة أخرى، خارج الحدود الأفغانية، لا سيما الذين يكتبون في إيران وباللغة الفارسية، وأدب المهجر لدى الكاتبات الإيرانيات وما يميز كتاباتهن من هموم وحربة في الكتابة، وغيرها من المواضيع التي أتمنى أن تتسنى لي الكتابة عنها في وقت قريب.

يأخذ أدب المهجر الفارسي اليوم طريقه، وشيئاً فشيئاً يحتل مكانته للتفاعل مع الآخر، فقد أكد من خلال كثير من الأعمال الشعرية والسردية أنه قادر على ذلك، ويستطيع أن يحصل على الخطاب المناسب واللغة المطلوبة أدبياً وجمالياً، للتعبير عن همومه وقضاياه، ونقلها للقارئ على الصعيد العالمي.

مراكب بلا أشرعة

فلسطينيو سوريا بين دفة النظام وكفة منظمة التحرير الفلسطينية

الحكم النعيمي

مرّت أربع سنوات ونيف على معاناة فلسطيني سوريا، شهداء، جرحى، معتقلون، تدمير بيوت، وفي آخر المطاف تهجير قسري في المنافي الداخلية منها والخارجية. وما زال تحميل التبعات يدور بين تقاذُف المسؤولية، وبين الأسباب والمبررات التي يسوّقها طرفا النقيض حيال موقفهما من الثورة السورية، ليلقي كلٌّ باللائمة على الطرف الآخر، فيما يدفع اللاجئ الفلسطيني ضريبة كليهما.

الرهان الخاسر

"الكل مسؤول". نعم، والموجب هو إيجاد حلول ترفع عنهم المعاناة، فلا يجوز إغماض العينين خلف تعقيدات المشهد السوري والهروب إلى الأمام وترك فلسطينيي سوريا تطحنهم تشابُكات مصالح النظام والمصالح الدولية والإقليمية بتلوناتها.

هل وصل صانع القرار الرسمي الفلسطيني إلى نتيجة؟! "لا". تأتي الإجابة جازمة حتى اللحظة، فيما تزداد صعوبة حلول الأزمة السورية بكل تجاذباتها وعلى كل المستويات. وهذا يدفعنا إلى السؤال: ماذا عن برامج الاستجابة لحاجات هؤلاء المشردين بفعل حالات النزوح القسري والهجرة الداخلية المتكررة إلى مناطق جديدة، ابتداء بالريف الآمن وانتهاء بالدول المجاورة، فيما يعانون في كليهما الفقر والتشرد والعازة بعدما نشدوا الأمان، فراراً من الموت داخل سوريا أو خارجها؟

الموت السريري

هل يوجد برامج دعم للاجئ فلسطيني في سوريا داخل مراكز الإيواء وخارجها، وهل وُظِّفَت العلاقات الدولية بالفعل، وتحولت المنظمات الإغاثية والجهات المعنية بالشأن الفلسطيني والسفارات الفلسطينية إلى إيجاد حلول، ولو مؤقتة، لهؤلاء المشردين الذين تقطعت بهم السُبُل بين تركيا واليونان ومقدونيا وصربيا وهنغاريا وهم في طريق الهجرة عبر قوارب الموت؟! وهل أحسنت تلك المؤسسات في إيجاد حلول جزئية كي تسهل حياتهم عبر مطارات هذه الدول وموانئها البرية والبحرية؟! فيما تعجز عن إطلاق سراح معتقل فلسطيني سوري واحد.

لقد آن الأوان لتشكيل مرجعية إنسانية لإدارة هذا الملف، فيما تقطعت السبل بطالبي الهجرة غير الشرعية في إيجاد بديل حقيقي وشفاف لحل أزمتهم.

العودة.. الحلم

حكمت المجتمع السوري القبضة الأمنية والتي شملت كافة المخيمات، فكل شيء تحت السيطرة الأمنية، وما يخضع السوريون له من تدقيقات أمنية، يخضع له الفلسطينيون بالقدر نفسه.

كان عيش الفلسطيني بشروط السوري بربحه، فلم يميّز النظام بين فلسطيني وسوري، إذ شمل القمع الجميع، والاعتقاد الوحيد الذي راودهم خلال فترة لجوئهم منذ عام ١٩٤٨ أن مساراً واحداً يمكن أن يجعلهم يغادرون سوريا، وهو العودة إلى فلسطين.

لم يكن ممكناً أن يبقى الوجود الفلسطيني على حاله، بعد تعاطي النظام بوحشية لا متناهية، والاستمراء في تدمير كافة المدن والقرى والمناطق، ليطال كافة أماكن توجد الفلسطينيين.

في تلك اللحظة التي جمعت المخيمات الفلسطينية مع المحيط السوري، بالتعرض إلى القمع والقصف والتشريد والتهجير، يكتشف اللاجئ أنه لا ينتمي إلى المكان، ويكتشف مرة أخرى، هشاشة وجوده في المنفى، وهذا ما وصل إليه المسار الفلسطيني في محطته الأخيرة في سوريا.

فجأة تُقصف المخيمات بالطائرات، كما تقصف منات المناطق والتجمعات السورية، بعد التعرض، ولمرات كثيرة، للقصف المدفعي التمهيدي. فجأةً، يشعر اللاجئ الفلسطيني بهشاشة وضعه لمرة أخرى، لا يعرف أين يذهب، ترتبك هويته، كما ارتبكت حياته، يستعيد كل المآسي التي مرّ بها في الأردن ولبنان والكويت والعراق، كل مخزون الذاكرة من الظلم الذي وقع على الفلسطينيين استحضره لاجئو سوريا، في لجوئهم الثاني.

المصير غير المنشود

بعد أن وجد الشعب الفلسطيني عنوانه السياسي، أخذت التجمعات الفلسطينية تدفع ثمناً غالياً، كان نموذجها الأكثر قسوة هو محاولة مستميتة نحو إيجاد موطن حقيقي ينعم فيه بالأمن، وهو "الخلاص" عبر الهجرة إلى أوروبا

والبلاد الإسكندنافية، مخاطرين بحياتهم في عباب البحار عبر منفذهم الوحيد تركيا، حين أنه ممنوع على الفلسطيني دخولها إلا بفيزا، وهذا حال لبنان واستحالة الإقامة فيه.

وقع الانهيار في مخيمات فلسطيني سوريا وكشف هشاشة وضع لاجئيها، ومع انهيار مخيم اليرموك، انهار مكان آخر، كان عنواناً لفلسطين، ومكوّناً من مكوّنات الهوية الوطنية الفلسطينية، ثمة شيء ما انكسر داخلهم، وفي هويتهم، هي رحلة الانتماء عبر رحلة اللجوء الأخيرة.

حنظلة ناجي العلي يغادر الموانئ

إن غياب الرؤية في إيجاد حلول أمام عجز المرجعيات وضبابية محددات لخطة عمل، يفرضان المراوحة في ذات المكان، وعليه، فإنه لا مخرج من هذه الأزمة التي تعرّض لها شعبنا الفلسطيني في سوريا، إلا بوضع تصور نظري على شكل رؤية وخطة عمل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإلا فإن أي تحرك ما هو إلا اجترار للوقت ومراوحة في المكان، تكمن مشكلة فلسطيني سوريا الآن في أنهم بلا وطن، ولا ضمان لعودتهم إلى حياتهم السابقة، حتى لو انتهت الأزمة السورية.

اتبعت الدول التي تنضوي تحت هذا الإطار سياسة إدارة الظهر لمعاناة فلسطيني سوريا، فأغلقت حدودها وصمّت آذانها وأغمضت عيونها، كي لا تسمع ولا ترى أنين الأطفال أو آهات الجرحى أو مأساة الثكالى، ولا حتى قرقعة أمعاء من قضوا جوعاً، من مستقرهم الموت خلف الأسلاك الشائكة أو الغرق في مياه المحيطات.

أما العالم المتحضر، فقد أبى أن يستقبل من فلسطيني سوريا إلا من نجا من قوارب الموت، فضلاً عمّن غابت أرواحهم وحضرت أجسادهم ليحلّوا ضيوفاً على مقابر أوروبا بعد أن لفظهم البر!

في تحديد المسؤوليات وتبعات ما حصل ويحصل، الكل مسؤول، وإن كانت درجات المسؤولية متفاوتة، كلٌّ بحسب ما قدّم وعما أحجم، وبما تمتلك كل جهة من قدرة على التدخل ووضع حلول، وما لديها من علاقات وإمكانات، وما تتمتع به من دالة على طرفي النزاع في سوريا، لتبرز هنا المسؤولية الأكبر على المرجعية الأولى وهي منظمة التحرير الفلسطينية، التي تتشدق بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في الوطن والشتات.

"إسرائيل" اليوم هي الدولة الوحيدة التي تشعر بعدم التهديد من هجرة الفلسطينيين إليها، فهم يطرقون كل أبواب الدنيا إلا أراضيهم المغتصبة، فلماذا تبقى إسرائيل في مأمن؟ ولماذا لا تمتثل لقرارات دولية أقرت بضرورة عودتهم إلى أراضيهم وأملاكهم، وتعويضهم.

إن تصويب الجهد نحو عودة فلسطيني سوريا إلى موطنهم هو الحل الحقيقي والجذري لمشكلتهم.

حصاد مرٌّ تجرّعه أكثر من نصف مليون لاجئ فلسطيني بعدما تقطّعت بهم السُبل، سيبقى وصمة عار في جبين الإنسانية جمعاء ودعاة العالم المتحضر وحقوق الإنسان، ليضاف بأحرف من الخزي والعار إلى سجلاتهم!

وإن بقي الفلسطيني في لجوئه الثاني، فإنه سيبقى أمام هذا الواقع المتناهي في العجز، في مواجهة نظام قمعي، لا يميّز بين سوري وفلسطيني، وبين مؤسسات فلسطينية وسورية تُعنى بشؤونه، كونه فلسطينياً وسورياً في آن، وأن ما وقع على الشعب السوري من تظلُّم من قبل "الطغمة" في دمشق، تَكبُدهُ الفلسطيني مضاعفاً، وكي لا تضيع تضحيات الشهداء والمعتقلين والجرحى ومعاناة المحاصرين في المخيمات، ينتظر هؤلاء اللاجئون مخرجاً بديلاً عن موتهم تحت الحصار، أو الغرق في أقاصي البحار، أو الارتماء القسري في أحضان النظام، أو الموت تحت وطأة التروح والبحث عن كفاف العيش.

لا يتضح حتى الآن ناظمٌ معياريٌ لإيجاد حلول ولو مؤقتة للاجئي سوريا من الفلسطينيين، فمن شريك للدم السوري في الاضطهاد والقتل والتهجير، تبقى ورقة التهميش في الكفة الأرجح الآن، نتيجة غياب حقيقي لمرجعية متصلة غير منفصلة فلسطينية . سورية عن استحقاق جدي لما يعيشه اللاجئ مع اختناق الخيارات لديه، منطلقةً من بديهية حقّه في العيش بأمان وانتماء.

تبقى الأسئلة مفتوحة عن مآل ومخرج حقيقي لهؤلاء الفلسطينيين، وبرسم إجابات إسعافية وصادقة ووضع المجتمع الدولي والمؤسسات الحقوقية والمنظمات البديلة عن النظام السوري، أمام مهمات جادة تبتغي المصير المشترك المنشود للشعب السوري، وخلق ركائز عمل تخفف عنهم مهمة الانتحار الاختياري قبل الانتحار السياسي، من خلال بحث ممنهج وواضح من منظور دولة ديمقراطية مؤسساتية، ترى في الفلسطيني شريكاً قبل كل شيء في بناء سوريا الديمقراطية الحديثة.

إحصائية منظمة العمل من أجل فلسطيني سوريا:

٢٦٠٠ شهيد وآلاف الجرحى.

١٨٠٠ معتقل مجهول مكان الاعتقال.

هدم أكثر ٦٠% من البيوت.

تشريد ٨٠% من قاطني المخيمات داخل سوريا وخارجها.

لا يربطه بسوريا سوى جيناته أسطورة التكنلوجيا ستيف جوبز

رهف موسى

بعد وفاة أسطورة التكنلوجيا ستيف جوبز عام ٢٠١١، اشتعلت وسائل التواصل الاجتماعية بخبر وفاته وبخبر تلقى اهتماماً أكثر بكثير، ألا وهو أنه سوري الأصل. وإن كان ذلك أمراً يدعو للفخر، إلا أنه عند التعمق في تاريخ جوبز نجد أن لا شيء يربطه بسوريا سوى جيناته. حتى أنه لم يلتق بوالده السوري قط، ولم يزر سوريا يوماً، لكن قد يكون ذلك أفضل ما حصل لستيف جوبز. فما هي فرص وصوله لما حققه وهو في سوريا؟

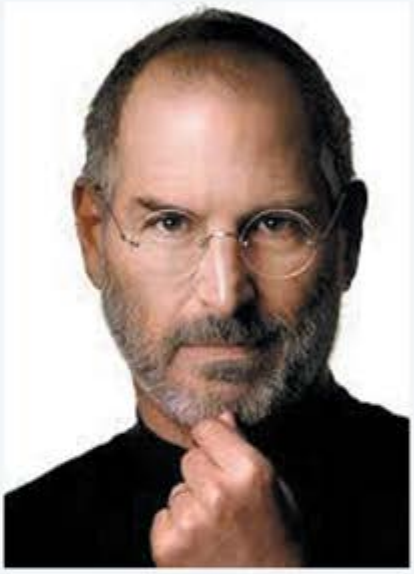

ستيف جوبز هو أحد أشهر من عملوا في مجال التكنولوجيا، وقد قدم إنتاجات ثورية غيرت وجه العالم، وجلعت من شركة "Appel" إحدى الشركات التكنلوجية الرائدة والمحبوبة عالمياً، لكن رحلته على ذلك الطريق لم تكن بجمال الإنجازات التي حققها، وهذا هو حال جميع قصص النجاح.

عائلة ستيف جوبز

ولد عبد الفتاح جندلي (والد ستيف جوبز البيولوجي) عام ١٩٣١ بمدينة حمص، وغادرها إلى بيروت وهو في الثامنة عشرة، ونشط سياسياً هناك، إلا أنه غادر بيروت إلى الولايات المتحدة بسبب سوء الوضع السياسي. أثناء دراسته في وسكنسن والتي حصل فيها على ماجستير ودكتوراه بالاقتصاد والعلوم السياسية، كان جندلي على علاقة بزميلة له اسمها "جوان كارول شيبل"، وأنجبت جوان منه ابنهما ستيف، لكن والدها لم يوافق على زواجهما، مما حدا بجندلي إلى الانفصال عن رفيقته وابنه قبل ولادة ستيف عام ١٩٥٥، وبعد ولادته عرضته جوان للتبني، وانتهى ستيف لدى الزوجين بول وكلارا جوبز اللذين تبنياه حينها.

بعد عدة أشهر عاد جندلي لرفيقته جوان وتزوجها وأنجبا عام ١٩٥٧ طفلة سمياها منى، ومن ثم سافر جندلي إلى سوريا في فترة اتحادها مع مصر راغباً بالعمل الدبلوماسي، لكنه لم ينجح بذلك وعمل في مجال النفط لمدة عام، خلاله طلبت زوجته الانفصال عنه، ثم عاد هو إلى الولايات المتحدة دون أن يتواصل معها، وكانت هي في هذه الأثناء قد تزوجت أمريكياً من عائلة سيمبسون وسمّت منى على اسمه.

تزوجت منى عام ١٩٩٣ من المنتج والكاتب التلفزيوني الأمريكي "ريتشارد بيل" وأنجبت منه طفلين. تعرف منى سيمبسون على أنها من أشهر الروائيات الأمريكيات، ولها خمس روايات، أهمها "الأب الضائع" والتي تتحدث فيها عن بحثها عن والدها عبد الفتاح جندلي.

أما ستيف جوبز فقد أنجب ابنته ليزا جوبز عام ١٩٧٨ من صديقته كريس آن برينان، لكنه أنكر أبوته لليزا واحتج بأنه عقيم، إلا أنه اعترف بها لاحقاً، ثم تزوج جوبز من الأمريكية لورين بويل عام ١٩٩١، وأنجب منها ثلاثة أبناء هم ريد وايرين وايف جوبز.

حياته العملية

ولد ستيف جوبز في سان فرانسيسكو عام ١٩٥٥، وعاش مع والديه بالتبني بول وكلارا جوبز. كان جوبز منذ طفولته مولعاً بالإلكترونيات، واستمر بذلك حتى المرحلة الثانوية حيث حصل على وظيفة في مصنع تابع لشركة "HP" خلال العطلة الصيفية، وهناك تعرف على زميله ستيف ووزنياك. بعد فصل واحد من دخوله الجامعة توقف جوبز عن الدراسة، وقام بتصنيع شريحة ألعاب إلكترونية وتقديمها لشركة أتاري، وبذلك حصل على وظيفة مصمم ألعاب لديهم، مما مكنه من توفير المال للسفر إلى الهند.

اعتنق جوبز البوذية في الهند، وعاد منها نباتياً، واستمر كذلك طوال حياته، كما أنه عاد لعمله في شركة أتاري، وانضم لناد محلي للكمبيوتر مع صديقه ستيف ووزنياك، وقاما معاً بعمل تجارب لصناعة كمبيوتر شخصي، وتمكن ستيف من بيع بعض الأجهزة لبعض المحلات قبل تصنيعها، واتفق مع مورّدي الإلكترونيات لتأمين القطع اللازمة، ما مكنه من تصنيع أول جهاز Apple وبيعه دون الاقتراض، لكن تطوير هذا الكمبيوتر كان مكلفاً، وتم حل هذه المشكلة بمشاركة مستثمر يدعى مايك ماركولا، وقام الثلاثة حينها بتأسيس شركة Apple عام ١٩٧٦، وكان مقرها كراج منزل عائلة ستيف جوبز.

بدأت الشركة بعد ذلك بتجميع أجهزة كمبيوتر وبيعها، وظهرت أبل بقوة بعد تصنيع جهاز Apple 2، وهو أول كمبيوتر شخصي ناجح. بعد ذلك قدم جوبز نظام ماكنتوش عام ١٩٨٤، وهو أول نظام تشغيل ناجح بواجهة رسومية وفأرة، وقد كان اجتماع الفأرة بالواجهة الرسومية والحجم الصغير للجهاز أمراً غير معروف في ذلك الوقت، مما وضع أبل

في منافسة مع "إنتل" و"مايكروسوفت". في العام التالي عصفت بالشركة خلافات داخلية أدت إلى طرد ستيف جوبز منها. قام جوبز بعد ذلك ببيع حصته في الشركة، وأنشأ شركة جديدة هي Next Step، لكنها لم تنجح لارتفاع سعر الكمبيوتر نكست الذي طوره جوبز. في هذه الفترة قام بتطوير تقنيات كانت أساساً لنظام تشغيل "ماك" الحديث.

في المرحلة التالية قام جوبز بشراء قسم رسوميات الكومبيوتر في شركة "لوكاس فيلم"، وحولها إلى شركة "بكسار" الشهيرة، والتي أصبحت بعد ذلك أحد أكبر شركات إنتاج أفلام الكارتون ثلاثية الأبعاد. في هذه الفترة تصاعدت ثروة جوبز إلى أن أصبح ملياردياً، كان ذلك في عام ١٩٩٥.

بعد مغادرة ستيف جوبز لشركة أبل بدأت الشركة بالتراجع، وتنقلت رئاسة مجلس الإدارة بين العديد من الأشخاص. وعندما ترأس "جيلبرت أميليو" الشركة، ارتأى بأنها لن تتحسن إلا بعودة جوبز إليها. وفعلاً عاد جوبز للعمل في أبل عام ١٩٩٥ كمستشار، ومن ثم أصبح رئيساً تنفيذياً مؤقتاً للشركة.

استعادت أبل تألقها بعد تقديم جوبز لجهاز iMacوالذي أهّله ليصبح رئيساً تنفيذياً دائماً للشركة في عام ٢٠٠٠. تتالت نجاحات جوبز وأبل بتقديمه جهاز iPod عام ٢٠٠١، والذي كان أفضل مشغل موسيقى في بداية القرن الواحد والعشرين، ومن ثم قدمت أبل الهاتف الجوال iPhone عام ٢٠٠٦، والذي حقق قفزة هائلة لشركة أبل بشاشة اللمس التي ظهرت حينها للمرة الأولى، وبعد ذلك جهاز iPad في عام ٢٠١٠، والذي حقق مبيعات وصلت إلى ٣ ملايين نسخة خلال ٨٠ يوماً.

مرضه ووفاته

مع أنه قام بتقديم منتجات إلكترونية ثورية في الفترة الأخيرة من حياته، إلا أنه قضى فترة طويلة يعاني من مرض سرطان البنكرياس الذي ظهر لديه عام ٢٠٠٤، لكنه ورغم خطورة المرض قرر اللجوء إلى العلاج الطبيعي، إلا أن ذلك لم يجدِ نفعاً واضطر للخضوع لعملية جراحية. عاد جوبز بعد العملية بقوة للعمل، لكنه اختفى بعد ذلك لمدة سنتين، وظهر بعدها بنقص كبير في الوزن، أكد جوبز حينها أن نقص الوزن يعود للحمية التي يتبعها. عام ٢٠٠٩ كشفت إحدى الصحف أن جوبز قام بعملية زرع كبد نقل إليه من شاب توفي في حادث مرور، وصرح جوبز بعدها بأنه سيتبرع بأعضائه هو أيضا بعد وفاته.

عام ٢٠١١ قرر ستيف جوبز الاستقالة من منصبه كمدير تنفيذي لشركة أبل، وذكر في رسالته إليهم: "لطالما قلت إنه إذا جاء اليوم الذي لا يمكنني فيه من القيام بواجباتي على أكمل وجه ووفقاً للتوقعات المطلوبة من الرئيس التنفيذي، فإنني سأكون أول من يعلمكم بذلك. لسوء الحظ، لقد جاء ذلك اليوم."

في الخامس من أكتوبر عام ٢٠١١ فارق ستيف جوبز الحياة في منزله في بالو آلتو بكاليفورنيا عن عمر يناهز ٥٦ عاماً. ثم أعلنت شركة "أبل" عن خبر الوفاة وقالت إن رئيسها الراحل الذي كان نابغة ومبدعاً قد رحل بعد صراع طويل مع المرض.

ترك ستيف جوبز وراءه ثروة تقدر بالمليارات، وأجهزة ثورية غيرت وجه التاريخ. والأهم من ذلك أنه ترك صورة عظيمة في أذهان الملايين من الناس ولربما المليارات ممن سيشهدون في المستقبل تطور التقنيات التي أطلقها والتي ساهم في إطلاقها.

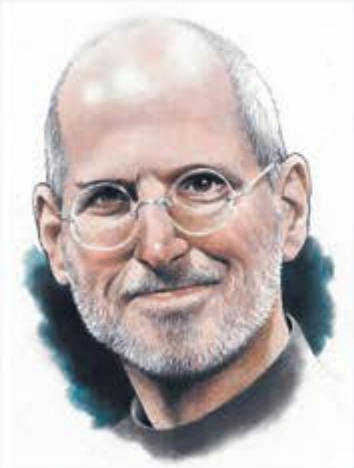

لا تفكر في الغد فقط
ولكن فكر في المستقبل أيضا
ولا ترحل وأنت لم تترك بصمتك

يبحرون بأحلامهم على زوارق هشّة..
الهجرة السورية.. مغامرة العقل والحب والثورة والبناء

بشار عبود

... وتستمر رحلة البحث عن الأرض الجديدة، تلك التي سوف يؤسسون عليها أحلامهم وطموحاتهم وكشفهم عن أسئلتهم الكبرى، ستظل رحلة البحث هذه مستمرة إلى أن يصلوا المكان المنشود، ليس مهماً أن يصلوا إليه، لكن شغف البحث هو عجينتهم الأولى أينما حطّوا الرّحال، فتراهم يتسابقون إلى السفن المهاجرة نحو أرض لم تطأها أقدامهم من قبل.

لم يكفّ السوري بأبعاده الشامية الكبرى (فلسطين، لبنان، واليوم سوريا)، يوماً عن شغف المغامرة وشغف البحث، فاتخذ من مدنه المدمّرة، طريقاً على دروب جلجلة لم تنته، انطلق بجسده المليء بالرغبة والاندفاع، إلى أمكنة قصيّة بحثاً عن أرض جديدة يعمّر فيها، وفاض بروحه الوقّادة إلى عوالم لا تحدها جغرافيا .

استعاد من دمار المدن التي نشأ فيها حلمه الذي تمسك به، علّه يتخلص معه من لعنة الخراب، فتوالت الهجرات من يمّ إلى برّ، ومن برّ إلى برّ، دون أن يترك مجالاً لوصية واحدة تكون نهاية سعيه الدؤوب وراء الحلم .

على سطح كل قارب يمخر عباب البحار، يحاول هذا المهاجر أن يتخلص من أزمانه، أما الأمكنة التي عاشها وسكن فيها، فهو يعرف جيداً أنه سيبني على أنقاضها مدناً أخرى .

في نهاية حكاية حصان طروادة القديمة، يضطر الفارس الأمير "إينياس" أن يهرب من مدينته طروادة التي عاث فيها اليونانيون خراباً وتدميراً وقتلاً، بعد أن اقتحموها بحصان الخديعة الخشبي الشهير، ثم يستقل الأمير "إينياس" سفينة على شاطئ البحر ويرحل فوقها إلى المجهول، حتى يصل سواحل إيطاليا، وفيها يبني بصمت وكبرياء صرح أعجوبته العظيمة (مدينة روما)، ويطوّب عليها أحد عظمائها الكبار .

في بلاد الشام أيضاً، بشرّ يغربلون الآن مهد الرسالة ومهد الحضارة من جديد، يغربلون آلهتهم الواحد تلو الآخر، يغربلون أنفسهم ويتخلصون من عقار الخوف الذي حُقنوا به وجعلهم في سبات طويل، في بلاد الشام يشرّ نفضوا أيديهم من السكون، هربوا كما إينياس بحثاً عن مسرح آخر، ليعيدوا رسم صروح جديدة أكثر ألقاً وأكثر بهاءً .

عندما خاطب الإله السوري "بعل" أجدادنا السوريين برسالته العظيمة قبل ٥٠٠٠ آلاف عام قبل الميلاد، "حطم سيفك وتناول معولك واتبعني.. لتزرع السلام والمحبة في كبد الأرض.. أنت سوري وسوريا مركز الأرض". كان لوقع هذه الرسالة صداه الذي ما زال يتردد في جينات السوري الجديد، لم يقبل الأحفاد لتلك البذرة أن تتيبس في كبد أرض واحدة، فجعلوا من تلك الكلمات طريقاً لهم نحو الريادة، حتى في أشدّ حالات الدمار يتلقفونها ويعيدون تجديدها وحملها معهم في أرحام بطون أمهاتهم جيلاً إثر جيل .

الدياسبورا السورية، أضحت جزءاً من تفاصيل الدم السورية، فهي ليست وليدة لحظتها، وإنما عمرها من عمر التاريخ، حيث أثبت إنسان هذه الأرض، أنه قادر دوماً على تلمس أناه الوجودية، لأنه دائم الانشغال بالأسئلة الكبرى والبحث عن أجوبة لها، ولأن ذاكرته عميقة في كهوف جدران المعرفة، فحصد بجدارة لقب سيّد الرّيادتين الحضارية والسماوية بلا منازع .

وبعودة سريعة إلى جذور مأساة هذا العصر، يمكننا القول إنه منذ اللحظة الأولى التي تسلم فيها حافظ الأسد سدة الحكم في سوريا، كان يعي تماماً أنه يتعامل مع هذه البقعة من

التاريخ والحضارة والإنسان المتمدن. كما كان يعرف جيداً قدرة هذا الشعب على التجدد والانبعاث من بين الركام. فكان لا بد له وهو الطاغية المستبد. أن يعمد وبطريقة ممنهجة إلى عملية قطع مع هذا الميراث الغني. وأن يعمل على تحويل هذه الأرض إلى مزرعة له ولعائلته. بنفس القوة التي اشتغل فيها على تشييء الإنسان السوري وجعله مجرد رقم لا قيمة له. فكان لا بد من الانفجار على الطغيان.

الثورة التي نعيشها اليوم في سوريا. بالغة الأهمية. لأننا نخوض فيها حرب إرادة ومعركة حياة قل نظيرها في تاريخ الشعوب. ولأنها كشفت الغطاء عن أهم جانب في ماهية شخصية الإنسان السوري بوصفه توّاقاً للحرية من نظام قمعي مستبد وجائر. ومتطلّعاً للبحث والبناء والاكتشاف والحلم. إذا ضاق المكان به. والآ كيف نفسّر هجرته غير المسبوقة في تاريخ الشعوب في كل اتجاهات الأرض وبحارها. بحثاً عن أرض يبنيها ومكان يعمّره. وفكر يشارك فيه الحضارة البشرية جمعاء. كل هذا في الوقت الذي يأتي فيه كل شذّاذ الأرض إلى سوريا ليعيثوا فيها خراباً ودماراً وقتلاً وتنكيلاً إلى جانب النظام المجرم.

ابن هذه الأرض لا ينظر إلى نفسه إلا مغامراً من مغامري العقل الأوائل والحب والثورة. تلك المغامرة التي كانت ولا تزال ولّادة للسؤال. ذاك السؤال الذي دفعه للتفكير والتمرّد والحرّية والكشف وتحطيم الثقافة الأبوية. فرغم كل ما فعله الأسد ونظامه من أجل إلغاء فكرة السؤال والمغامرة والحلم عند السوريين. كان غليان المعرفة والبحث والتاريخ التّليد يعتمل في صدورهم. فحطّموا القيود وحطّموا الصنميّة. وساروا في درب لا يعود بهم إلى مربع الخوف ودائرة العزلة أو الرّهبة من متعة السؤال وسهاد الحلم.

والحب الذي دفع أمراء مدينة طروادة "باريس" و"هيكتور" لخوض حرب دمّرت مدينتهم وشردت أهلها. هي ذات القيامة التي أشعل السوري نيرانها. رغم أنه كان يعلم جيداً أنه سيحترق بها. هي تلك الرغبة ذاتها التي دعته للانتفاض والثورة في وجه الظلم والقهر. وهي نفس الرغبة التي جعلته يسعى للهجرة في أصقاع الأرض. بحثاً عن أرض جديدة يفرد فيها جناحيه خارج القوقعة الأسدية ذات الظلام الدامس .

هذه هي طبيعة الشخصية السورية الممتلئة بالحب والاندفاع والراكضة خلف حلمها. هي ذاتها التي تركب اليوم سفناً ومراكب هشّة قد لا تصل إلاّ إلى المجهول. وأحياناً كثيرة تجرفهم نحو أعماق البحار. لكنها لا تتردد في خوض غمار التجربة .

في بلادنا بشرٌ يختبرون اليوم قدرتهم على محاربة انعدام الأفق وسكينة اللاجدوى. في بلادنا أناس يختبرون الله كي يخرجوه من أجسادهم. نحو سدرة المنتهى. وما طريق الجلجلة السورية الذي نعيشه منذ مطلع القرن الماضي وإلى الآن إلا دليل على رغبة التحدي لا الانتقام. وما الزراعات التي يقوم بها أبناء المدن المدمرة في حمص ودرعا وإدلب وحماه ودير الزور والحسكة وريف حلب. الآن وبعد مضي قرابة خمس سنوات من البراميل المتفجرة والدمار الجنوني. سوى عبء الرسالة وثقلها في حمل المعول وزرع المحبة في كبد الأرض. ومن لم يتمكن من هذا الزرع هناك. هاجر ليزرع المحبة في كبد أرض أخرى بعيدة وقصيّة. رحل بهذه القصديّة العليا الخارقة للأنا الرحبة التي تتسع لها الأرض قبل السماء.

في بلادنا يجد الناس دائماً منفذهم إلى الأمل. في الشارع والحقل. في السفينة والبحر. وفي طرق الجبال العالية والوعرة. في بلادنا أناس محكومون بالعمل حتى الاستغاثة. شعب يصرخ في وجه العالم. نحن قومٌ نحنّ دوماً إلى البناء. نحنّ دوماً إلى إنعاش الأرض بالثمر .

كيف تنسى شعوب منطقتنا ما أسسه أجدادها على شواطئ أنهار الفرات والعاصي والأردن. وفي سهول المدن من معالم أضحت أساساً لحضارة تغرف منها مدن الكون أجمع؟ كيف تنسى هذه الشعوب حضاراتها الغارقة في حبر التاريخ. وممالكها (ماري. إيبلا. أوغاريت. الحثيين. الفينيقيين. الآراميين...). التي ما فتئت تعج بكل ثمرات الأرض وخيراتها التي

صدّرتها إلى جهات العالم الأربع؟ كيف ننسى من صنع المحراث قبل السيف. والحرف قبل الحرائق؟

السوريون هم المهاجرون الأوائل في التاريخ. هم أكثر من مجرد سكان جغرافيا واحدة. ومسكن واحد وشاطئ واحد. هم المغامرون الأوائل. ولذلك هم شريان التاريخ. الذي يخبئ لهم على الدوام كنوز الثقافة والحضارة والمدنية. فأينما كان هذا الإنسان المثقل بكل الجراح يكون صاحب ثقافة وحضارة ولغة وإيمان بمبادئه الراسخة.

لم يكن السوري. خارج هذا المعنى في بحثه عن حريته سواء داخل سوريا أو خارجها. لم يكن خارج نقطة التقاء الثقافات وتنوعها وغناها في بحثه الدائم عن مكان آمن يعمل فيه. هذه الروح لا تزال تطبع جبهة السوري. الذي يصغي إليها في حقيقته. أكثر مما يصغي لفكرة الثواب والعقاب .

إنه صوت شعب حرّ. يركب الموج بجسد عاشق. بحثاً عن بارقة أمل. وأرض ليحييها. بعيداً عن الأفكار المجرّدة والتأمّلات الباردة التي لا حياة فيها. يخرج هذا الشعب نحو مراكب راسية تأخذه في رحلة طويلة عبر بحار صمّاء. قد تكون بوابة أمله. وقد تصبح مقبرته. لكنه لن يتردد في امتطائها.

على بوابات المرافئ التي يصلها. يجلس الإنسان السوري بجانب صارية السفينة التي حملته من هناك. يستمع لشدو النوارس. يتأمل قبة السماء الزرقاء. ينظر إلى خفر السواحل. يقول لهم: أنا.. أنا.. جئتكم من بلاد أرسلت لكم من قبل معاولها. وجئناكم اليوم فقط لنزرع المحبة في كبد الأرض.

أسماء ووجوه مختلفة والجريمة ذاتها أقلّيات في مصارعة التاريخ

خوشمان قادو

ممر الحياة

كلّ الوجوه التي كانت برفقتنا، لم تكن على استعداد تامّ لملامسة الغبار المتناثر من وجوه وشَعر النازحين من جبل سنجار (شنكال)، في آخر نقطة لاستقبالهم جنوب مدينة (كركي لكي)، على بعد حوالي ٣ كم، قبل إيصالهم إلى مخيّم نوروز، شمال مدينة ديربك على بعد حوالي ٥ كم. الدهشة والترجمة الفعليّة للحالة النفسية لدينا لم تكن قادرة على استيعاب تلك اللحظة، كنا نصوّر تارةً، نبكي تارة، ونساعد الصغار وكبار السنّ تارة أخرى.

في الممر الذي يصل بين قرية جزعة السورية ودوكرا العراقية، والتي فتحتها وحدات حماية الشعب (YPG) ووحدات حماية المرأة (YPJ)، حيث قوافل النازحين تمرّ، في طريق حتى الغبار لم يستطع أن يحجب ملامحها ولا حقيقتها المؤلمة، أعمدة الغبار المرافق للقوافل البشرية التي كانت تظهر من بعيد في مشهد كأنّها أمواج البحر تقترب منّا، ما جعلنا (على الأقل أنا) نخافُ الغرق، كلٌّ منّا، بعينه الملعونة أصلاً، مثل الرصاصة كانت تخدش الصورة المربكة في عراء تلعن فيها كل شيء، حتى عين الكاميرا الغبيّة.

أين نحن، هل نحن بأمان؟ أسئلة كانت تنهال من أفواههم الجافة، وأحياناً كانت بعض الكلمات تختبئ بين شقوق شفاههم حين كانوا يروْن ما جرى لهم، كلٌّ منهم يحمل طاووساً تحت إبطه ويمضي إلى السهل المتعب تاركين الجبل عَشاً.

بعد سقوط مدينة الموصل على يد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، في حزيران ٢٠١٤، غدت قرى ومدن الكرد الإيزيديين هدفاً (لداعش)، فبعد مقتل الآلاف وأسر آخرين، استطاع الافٌ آخرون الوصول إلى جبل شنكال، ومنه إلى المناطق الخاضعة للإدارة الذاتية الديمقراطية في سوريا، عن طريق الممر الآمن الذي فُتح لأجلهم.

اعتبرت الأمم المتحدة أعمال "داعش" جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، إذ تعتبر الهجمات الأخيرة للتنظيم على الكرد الإيزيديين الأكثر أيلاماً في تاريخ الأخيرين، فقد قُتل أكثر من ثلاثة آلاف، وحوالي خمسة آلاف أُسروا، معظمهم من النساء، ووصل عدد اللاجئين إلى حوالي (٤٠٠) ألف لاجئ، (١٥٠٠) امرأة تعرضن للاغتصاب والانتهاك، فيما تم بيع أكثر من (١٠٠٠) امرأة كسبايا في أسواق النخاسة لدى "داعش"، فكان الفرمان (٧٣) للكرد الإيزيديين (ويعني الفرمان تاريخياً: الإبادة)، في سورياً أيضاً لم يسلم الإيزيديون من هجمات التنظيم، حين هاجمت الأخير مدينة سري كانيه/ رأس العين عام ٢٠١٤، حيث بعض القرى الإيزيدية.

الفرمان والإيزيدية تاريخياً (حسب المصادر)

تعتبر الإيزيدية أقدم الديانات الكردية والشرقية، يقدّر تعدادهم بحوالي (٨٠٠) ألف إيزيدي حول العالم، العدد الأكبر منهم موجود في العراق (حوالي ٥٠٠ ألف)، وقسم في سوريا وتركيا، والقسم الأخر هاجر إلى أوروبا.

وتُعرف الإيزيدية كأول ديانة توحيدية آمنت بإله واحد خالقٍ للكون، وإحدى خصوصياتها هو عدم وجود نبي لها، لذا (ككل الأقليات الطائفية الأخرى مثل العلوية والدروز) لا أحد يستطيع أن يصبح إيزيدياً إن لم يولد في أسرة إيزيدية، وبسبب معتقداتهم الغريبة بالنسبة للآخرين، غالباً ما نُعتوا "بعبدة الشيطان"، فكانت النتيجة التقوقع والعيش ضمن جماعات صغيرة.

تعرّض الإيزيديون عبر التاريخ إلى ٧٢ عملية إبادة (فرمان) استهدفتهم لأسباب دينية واقتصادية، أما أهمّ الفتاوى التي أباحت قتال الإيزيديين فكانت فتوى أحمد بن حنبل في القرن التاسع، وأبي الليث السمرقندي والمسعودي والعمادي وعبد الله الربتكي، ولعل فتوى أبي سعود العمادي (مفتي الدولة العثمانية في عهدي سليمان القانوني وسليم الثاني) إحدى هذه الفتاوى، حيث قادت إلى سلسلة من الفتاوى التكفيرية بحق الإيزيديين.

تطلق الإيزيدية اسم (فرمان) كمرادف لعبارة (حملات الإبادة الجماعية)، والذي كان يعني (القرار) في الدولة العثمانية، إشارة إلى القرار الذي كان يصدره السلاطين العثمانيون في الآستانة، كان الكرد الإيزيديون في الغالب عاجزين عن مواجهة الحملات العسكرية المهددة لهم لضخامتها ولقلة عدد الإيزيديين، فكانوا يضطرون للاعتصام في رؤوس الجبال وفي الكهوف، وأدى هذا مع مرور الزمن إلى انتشار الأمية والتخلف بينهم، وإنهاك الشعب بحروب وكوارث أثرت على بنيتهم ودورهم الحضاري والثقافي.

بدأت الحملات أيام مير جعفر الداسني (أيام الخليفة العباسي المعتصم سنة ٢٢٤هـ) إلى حملات القرنين السادس والسابع عشر، ومن ثم حملات ولاة بغداد العثمانيين، بينما تعود أولى الفرمانات التي شنت ضد الشعب الإيزيدي لعام ١٥٦٠م عندما صدرت فتوى من الشيخ أبو السعود العمادي بقتالهم.

في مظاهر الحياة أيضاً

لم تقتصر إهانة الإيزيديين على المسلمين فقط، بل كانت الإهانة الأكبر من بني جلدتهم، إذ إنّ كلّ تلك الحملات العدائية والتي شوّهت وجه الدين الإيزيدي صدرت عنهم، وبات الاقتراب

منهم بألف حساب من الكرد المسلمين (السنة). ووصل الأمر إلى حد شتمهم علانية وإطلاق صفات سيئة عليهم. كما مُنع الأكل في بيوتهم أو من أيديهم. وحتى الشراء منهم. كأن يشتروا منهم البيض أو اللحم. وكلّ ذلك بحجة أنّ كلّ ما يمتّ إليهم بصلة حرام. على اعتبار أنّهم كفّار.

آشور- سريان (نهر الدم)

مدينة تل تمر (٥٠ كم غربي مدينة الحسكة). كانت وجهتنا إليها لتصوير وثائقي عن مكونات المدينة من كرد وعرب وأشور، وقد صادف وجودنا في المدينة عيداً للآشوريين هو "عيد القديسة". إذ يكون العيد على مدار أربعة أيام. فيحضّرون الطعام ويقدمونه في بيوتهم حيث يستقبلون الضيوف. وفي كل بيت ثمة مائدة مفتوحة للجميع. ومن أشهر المأكولات التي يقدمونها "الدخوا". كما لا يخلو الأمر من الشعائر الكنائسية وتعميد الأطفال. بالإضافة إلى الغناء في كل بيت. كذلك عيد (الأكيتو). في الأول من نيسان من كل عام. وهو أوّل أيام السنة الآشورية الجديدة. بدأ الآشوريون - السريان في منطقة الجزيرة. الاحتفال بهذا العيد. حسب الطقوس والتقاليد الآشورية القديمة. التي تعبّر عن عبق الحضارة الآشورية. وأريج التراث السرياني الأصيل. وذلك جرياً على عادات أجدادهم في (بلاد ما بين النهرين). التي كان ممنوعاً قبل الثورة السورية. ربما اختصر حديث الناطق الرسمي للمجلس العسكري السرياني (الذي قاتل مع قوات حرس الخابور إلى جانب وحدات حماية الشعب) في المدينة المشهد المأساوي الذي حلّ بهم. والذي سيحلّ. إبّان هجوم "داعش" على القرى الآشورية (الكلدانية والسريانية). بقدر ما سيحل بكلّ الأقليات في المنطقة. بألم كان ينقل لنا كلام جدته: "سيأتي يوم ويُصبغ ماء الخابور باللون الأحمر". إشارة منها إلى الدم. طبعاً حسب كلامها. الآشوريون سيكونون على تماسّ مباشر مع ما سيحدث. وعليه يقول: لن نسمح بمذبحة سيفو أخرى (مذابح سيفو أيلول ١٩١٤ – ١٩٢٠. نسبة إلى قتل أغلب الضحايا بالسيف). وأيضا مجزرة سميل ٨-١١ آب ١٩٣٣. التي اقترنت باسم الضابط العراقي بكر صدقي.

فجر يوم الأحد ٢٣ شباط/ فبراير ٢٠١٥ هاجم "داعش" بالأسلحة الثقيلة قرية غبيش (٢ كم غربي تل تمر). ما أدى إلى السيطرة على القرية بالإضافة إلى القرى الآشورية الواقعة غرب وجنوب غربي تل تمر من قبل القوات المهاجمة. تمّ تهجير أهالي (٣٥) قرية آشورية. اختطف حوالي (٢٦٢) آشوري بينهم نساء وأطفال. وتمّ قتل العديد منهم. بالإضافة إلى هدم وتفجير الكنائس. كما أنّهم حطّموا تماثيل من العصر الآشوري في مدينة الموصل شمال العراق.

حضارة راسخة في الشرق

الآشوريون أحد الأقوام التي كان لها تأثير كبير ومباشر في تكوين منطقة الشرق القديم. التي سكنوا فيها. من خلال فتوحاتهم العسكرية ومنجزاتهم الحضارية والعمرانية التي عبرت عن حياتهم بكل تفاصيلها.

وكان لتلك المنجزات التي خلّفوها الأثر الكبير في التعريف بتاريخهم الطويل. والذي يبدأ من عصور ما قبل التاريخ حتى سقوط عاصمتهم نينوى عام ٦١٢ ق. م على يد التحالف البابلي– الميدي. ومهما يكن من أمر. فإنّ أولئك الأقوام. حسبما أثبتت الدراسات التي تناولت تاريخهم السياسي وانجازاتهم الحضارية عمق إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية. هم مجموعة عرقية تسكن في الشمال ما بين النهرين في العراق وسوريا وتركيا. وبعضهم في إيران. كما هاجر قسم منهم إلى أمريكا وأوروبا. وينتمي أفراد هذه المجموعة العرقية إلى كنائس مسيحية سريانية متعددة. كما يعتبرون من أقدم الشعوب التي اعتنقت المسيحية. ابتداء من القرن الأول الميلادي. ويقدّر عددهم في العالم. حسب الإحصائيات غير الرسمية. بحوالي مليون وسبعمائة ألف.

ارتكبت المجازر بحق الآشوريين ابتداء من عهد تيمورلنك في القرن الرابع عشر. مروراً ببدر خان بداية القرن التاسع عشر. وصولاً إلى الحربين العالميتين والاضطهاد الكبير من الدولة العثمانية. ما أدى إلى تناقص أعدادهم. ويبلغ عددهم اليوم حوالي (٣٥) ألف في العراق. و(٣٠) ألف في سوريا. و(١٥٠٠) في لبنان. ثمة أيضاً المجازر الحميدية ١٨٩٤-١٨٩٦. التي تعزى إلى السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني". بحق الآشوريين. والأرمن. والسريان. والإيزيديين.

الحضارة الإنسانية في مواجهة الإبادة

عبر التاريخ ثمة العديد من المجازر والانتهاكات التي واجهت أقليات دينية وعرقية. لكن كلّ تلك الأفعال البعيدة عن المفهوم الإنساني لم تفلح في القضاء على أية من تلك الأقليات المستهدفة. وربما استغلال القوى المجرمة للدين الإسلامي كواجهة. زاد من الشرخ الحاصل في مجتمعاتنا. التي ما زال أبناؤها يحتفظون بتلك المشاهد المرسومة في مخيلاتهم حسب ما روى لهم أجدادهم عمّا تعرضوا له من أفعال. مما أعاد زمن المجازر والإبادات التي كانت ترتكب بحق الأقليات في عهد السلطنة العثمانية. ومن قبل القوى الرافضة لوجود الآخر. ومحاولة إفناء كل المتمايزين في مجتمع واحد. ومرّة أخرى تتعرّض ذات الأقليات اليوم إلى مجازر وانتهاكات جسيمة بحقهم. يحاول مرتكبوها انتهاك التاريخ البشري والموروث الثقافي والحضاري للإنسان. إيزيديون في العراق وسوريا. وآشوريين في العراق وسوريا. وهذه المرة على يد ممثل الإرهاب في العالم "داعش".

الكشف المبكر عن سرطان الثدي ودوره في تحقيق الشفاء التام

سارة العمر

يعد سرطان الثدي من أكثر الأمراض المسببة للوفاة عند الإناث في حال انتشاره وتأخر علاجه. وهو مرض يصيب كلاً من النساء والرجال، لكن احتمال حدوثه عند النساء أكبر، فهو يصيب امرأة من كل ثماني نساء. إلا أن الكشف عن المرض في مراحله الأولية المبكرة يساهم في إنقاذ حياة الشخص المصاب، حيث تكون فرص الشفاء التام كبيرة جداً تصل في بعض أنواع سرطان الثدي إلى ٩٨-٩٩%، نتيجةً لكون العلاجات المتاحة أوسع وأكثر تنوعاً. ولأن كل امرأة هي عرضة للإصابة بهذا النوع من السرطان كان من الضروري معرفة ما هو سرطان الثدي؟ وماهي أعراضه؟ وكيف يتم الكشف المبكر عنه؟

ما هو سرطان الثدي؟

سرطان الثدي هو تكاثر غير طبيعي لعدد من خلايا نسيج الثدي. تنقسم هذه الخلايا بسرعة أكبر من الخلايا السليمة، وتبدأ بالانتشار في جميع أنحاء الثدي، وقد تنتقل في حال تأخر العلاج إلى داخل الغدد الليمفاوية، بل وإلى أعضاء أخرى في الجسم.

ماهي العوامل التي تزيد من احتمال حدوث سرطان الثدي؟

إن السبب الذي يجعل خلايا سليمة في نسيج الثدي تتحول إلى خلايا سرطانية في معظم الحالات ليس معروفاً، لكن هناك العديد من العوامل التي تؤهب لحدوث سرطان الثدي، وأهمها التاريخ المرضي للعائلة، حيث يزداد احتمال الإصابة بسرطان الثدي إذا أصيبت به إحدى أقارب المرأة مثل الأم أو الأخت أو الابنة. كما يزداد احتمال الإصابة به كلما ازداد سن المرأة، وإذا زاد وزن المرأة بنسبة ٤٠% عن الوزن المثالي، كذلك عند النساء اللاتي يأتيهن الحيض في سن مبكرة أو اللاتي ينقطع لديهن الطمث في سن متأخرة.

كيف يتم التشخيص المبكر لسرطان الثدي؟

كلما اكتشف سرطان الثدي في مرحلة مبكرة أكثر، كلما كانت فرصة المريضة في تحقيق الشفاء الكامل أفضل. وهذا النوع من السرطان يكتشف بسهولة من خلال معرفة الأعراض والعلامات المبكرة للإصابة به. إضافة لإجراء الفحص الذاتي للثدي مرة كل شهر، وإجراء الصورة الشعاعية للثدي أو الماموغرام بشكل دوري عند المرأة التي تتجاوز سن الأربعين.

ماهي العلامات المبكرة لسرطان الثدي؟

إن ظهور كتلة في الثدي يعد العلامة المبكرة الأكثر شيوعاً لسرطان الثدي عند النساء والرجال على حد سواء، وهذه الكتلة تكون غير مؤلمة على الأغلب، كذلك يرافق الإصابة بسرطان الثدي تورم في الغدد الليمفاوية تحت الإبط، وتغيرات في شكل أو حجم الثدي، إضافةً لظهور نتوءات على الجلد أو تغير في لون الجلد، وخروج إفرازات من حلمة الثدي، وتكون هذه الإفرازات مختلطة بدم أو غير مختلطة.

كيف يتم الفحص الذاتي للثدي؟

يجب على كل امرأة أن تكون على علم تام بشكل وحجم وقوام ثدييها، وأن تقوم بفحص نفسها مرة كل شهر في اليوم السادس أو السابع من الدورة الشهرية، ويكون الفحص بالوقوف أمام المرآة وفحص الثدي بالتأكد مما إذا كان هناك أي شيء غير طبيعي، ثم وضع اليدين خلف الرأس والضغط بهما إلى الأمام دون تحريك الرأس ثم وضع اليدين على الوسط والانحناء قليلاً مع ضغط الكتفين والمرفقين إلى الأمام، بعد ذلك يجب رفع اليد اليسرى، والبدء باستخدام اليد اليمنى في فحص الثدي الأيسر من القسم الخارجي وبشكل دائري حتى الحلمة، مع التركيز على المنطقة بين الثدي والإبط ومنطقة تحت الإبط، والضغط بلطف على الحلمة للتأكد من عدم وجود أي إفرازات، ثم تكرر الخطوات السابقة على الثدي الأيمن، فإذا وجدت علامات غير طبيعية خلال الفحص الذاتي، وجبت مراجعة الطبيب في أقرب وقت ممكن.

ماهي الطرق المتبعة في علاج سرطان الثدي؟

في أغلب الأحيان يتم علاج سرطان الثدي بعدة طرق مجتمعة، فإذا تم الكشف المبكر عنه وكان الورم في حدود ٣ سم، فإن العلاج لا يستلزم استئصال الثدي، بل يقتصر على استئصال الورم وعلاج باقي الثدي بالأشعة، أما إذا كان الورم أكبر من ذلك أو انتشر إلى الغدد الليمفاوية فيضاف العلاج الكيميائي والهرموني إلى العلاج الجراحي. وتعد الجراحة الطريقة العلاجية الأكثر شيوعاً لسرطان الثدي، وهي أنواع كثيرة تختلف باختلاف حجم الورم ومدى انتشاره، كذلك يستخدم العلاج الإشعاعي في علاج سرطان الثدي، وهو علاج موضعي يتم باستخدام أشعة قوية تقوم بتدمير الخلايا السرطانية. أما العلاج الكيميائي فهو عبارة عن عقاقير تؤخذ عن طريق الفم تعمل على قتل الخلايا السرطانية، ويستخدم العلاج الهرموني أيضاً، وهو يعمل على منع الخلايا السرطانية من تلقي الهرمونات الضرورية لنموها، ويتم عن طريق تناول أدوية تغير عمل الهرمونات، أو عن طريق إجراء جراحة لاستئصال الأعضاء المنتجة لهذه الهرمونات مثل المبايض.

ما هي طرق الوقاية من سرطان الثدي؟

يعد تعزيز النظام الغذائي الصحي والنشاط البدني والتحكّم في فرط الوزن والسمنة من الأمور التي يمكنها الإسهام في الحدّ من معدلات وقوع سرطان الثدي على المدى البعيد.

بوح نسائي .. مسابقة الكتابة غير الاحترافية

الحرب خسارة لكل السوريين

سيدة سوريا

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

في سياق التعاون بين مجلة سيدة سوريا وشبكة المرأة السورية لتنفيذ نشاطات مشروع "تغيير الصورة النمطية للمرأة" الذي تدعم تنفيذه منظمة "أولوف بالمه" السويدية، والذي يتضمن العديد من النشاطات، تعلن مجلة سيدة سوريا وشبكة المرأة السورية، إطلاق مسابقة الكتابة غير الاحترافية للسيدات السوريات، والتي تخص كتابة القصة.

حيث تستقبل هيئة المسابقة نصوصاً لم يتم نشرها سابقاً، لسيدات لم يقمن بنشر مجموعات قصصية أو شعرية أو روايات، وألا تكون المادة المشاركة منشورة في صحف أو دوريات أو جزءاً من كتاب أو موقع إلكتروني أو حتى على صفحة شخصية على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك.

• يشمل موضوع الكتابة:

معاناة السوريات في ظروف الحرب، نساء سوريات انتصرن على ظروفهن، الحرب خسارة لكل السوريين، وأمثلة عن تعاضد السوريين.

حيث تُقبل النصوص المشاركة من داخل أو خارج سوريا، على ألا يقل عمر المشاركة عن ١٧ عاماً، أن تشارك المتسابقة بمادة واحدة فقط.

• لا تلتزم هيئة المسابقة بإعادة النصوص سواء فازت أو لم تفُز

ترفق المادة بأوراق ثبوتية: هوية أو جواز سفر أو إخراج قيد

يبدأ استقبال النصوص من تاريخ ٢٠١٥/٧/١ إلى ٢٠١٥/٩/٣١

تعلن النتائج في٢٠١٥/١٢/١ في عدد مجلة سيدة سوريا المطبوع وموقعها الإلكتروني وصفحتها على فايسبوك وعلى موقع شبكة المرأة السورية.

• تقوم لجنة القراءة المشكّلة من ثلاثة أعضاء باختيار عشرة نصوص فائزة، جائزة كل منها ٥٠٠ دولار أميركي.

• تلتزم هيئة المسابقة بطباعة جميع النصوص الفائزة، وتحتفظ لذلك لنفسها بحقوق الطباعة لأول مرة، ولا يحق للمشاركات نشر النص المرسل إلى المسابقة قبل إعلان النتائج، كذلك النصوص العشرة الفائزة، حيث لا يحق نشرها إلا بعد توزيع الطبعة الأولى من قبل هيئة المسابقة، على أن تلتزم هيئة المسابقة طباعة النصوص وتوزيعها خلال مدة أقصاها ٣ أشهر من إعلان النتائج.

• لا يحق لأي فائزة بأحد النصوص العشرة إجراء أي تعديل على النص بعد اعتماده وإعلان النتائج.

• بعد التأكد من استيفاء النصوص المشاركة للشروط المدرجة في هذا الإعلان، تقوم هيئة المسابقة بتوجيه النصوص إلى لجنة القراءة، حيث يتم اختيار ثلاثين نصاً جديراً بالتسابق على الفوز، وفق معايير يتم الاتفاق عليها، ثم يتم اختيار عشرة نصوص فائزة استناداً إلى نقاط تضعها لجنة القراءة، وتعتبر فائزة بنفس الدرجة.

• تلتزم سيدة سوريا بنشر النصوص العشرين الإضافية على صفحات المجلة خلال الإصدارات المتتالية، وهي المتبقية من الثلاثين نصاً المعتمدة للتنافس على الجائزة، ببدل خمسين دولاراً أميركياً لكل نص، ولا يلزم ذلك أصحاب النصوص.

• يحق لفريق سيدة سوريا إجراء التحرير اللازم على النصوص لجعلها مناسبة للنشر دون أن يؤثر ذلك على محتواها وسياقها العام.

• ترفض النصوص التي تحرض على القتل والعنف والطائفية.

• المرفقات المطلوبة حين إرسال النص: هوية شخصية أو جواز سفر أو إخراج قيد، إضافة إلى سيرة ذاتية لا تتجاوز عشرة أسطر.

• إقرار من سطر واحد يؤكد أن النص لم يشارك أو يفز أو ينشر في أي صحيفة أو كتاب أو موقع إلكتروني أو صفحة إلكترونية شخصية.

• تعهد مكتوب من سطر واحد الالتزام بشروط المسابقة

وفي حال مخالفة الشروط والضوابط القانونية المذكورة أعلاه فإنه سيتم سحب الجائزة أو اتخاذ الإجراءات القانونية بحق المخالفة.

تقبل المشاركات على bawhnesaie.competition@gmail.com

من التغليب إلى الجندر

نبال زيتونة

شبكة المرأة السورية

كثيراً ما احتفى علماء العربية قديماً وحديثاً بحيوية هذه اللغة وقدرتها على التعبير عن الجنس، وحرصها على إبراز النوع (المذكّر والمؤنّث) في سياق استعمالاتها، ما يثري معانيها ويمنحها معجماً دلالياً ضخماً في دقة التعبير، حتى أن علماء اليوم قالوا بقدرة الجنس اللغويّ (الجندر) على لعب دور محوريّ في نحوها، وعدّوا عدم التمييز بين المذكّر والمؤنّث من أقبح معالم اللحن فيها.

فإذا كانت العربية، وبشهادة علمائها، تمتلك هذه الميزة في نحوها وقواعدها، لِمَ حاولوا إذن ويحاولون طمس بعضٍ من أهمّ خصائصها الجندريّة ومحاسنها تحت مسمّياتٍ عدّة، ومنها ما يسمّى "بالظواهر اللغوية"؟ ولِمَ يكون "لحناً" في مكان و"ظاهرة لغويّة" في مكان آخر؟!

هنا لا بدّ أن نلقي الضوء على واحدة من هذه الظواهر التي تداعى العلماء لدراستها وتبويبها وتجميلها، وهي ظاهرة "التغليب في اللغة".

فالتغليب كما عرّفه علماء العربية: ظاهرة لغويّة نحويّة، عرفها العرب في عصورهم الأولى وأجروها في كلامهم، وأرادوا بها التنبيه إلى أهميّة المغلّب، فغلّبوا الأصل والأشرف والأنبه والأخفّ والأبلغ، وفيه مبالغة في التكريم والتعظيم.

والتغليب لغة مشتق من الجذر الثلاثيّ (غَلَب – غَلْباً وغَلَباً وغَلَبَة ومَغْلَباً ومَغْلَبَة). وغَلَبَه: قهره وهَزَمَه، والتغليب معناه الاستيلاء على الشيء بالقوة ودون وجه حق.

أمّا التغليب اصطلاحاً: فهو إعطاء الشيء حكم غيره، أو ترجيح أحد المعلومين على الآخر، وإطلاق لفظه عليهما.

وقد عمد اللغويون إلى تصنيف التغليب في عشرة أنواع، يتصدّرها تغليب التذكير على التأنيث، وهو العنوان الأبرز والرسالة الأوضح التي أرادها جهابذة اللغة.. حيث يطغى المذكّر على المشهد اللغويّ، ساحباً البساط من تحت أقدام المؤنث تحت سمع وبصر الناطقين بها، وهم الذين تغنّوا في مواضع أخرى بحيويّتها واستمراريّتها بامتلاكها جناحي الذكورة والأنوثة. ولعلّهم بهذا يسدلون الستار على حالة لغويّة صحيّة، مغالاةً منهم في تكريس الصوت الواحد (المذكّر)، ليس الغالب بقدر ما هو المغلّب، كما في المشهد الحياتيّ، على اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية تتوازى بحضور الجنسين، وليس بالإقصاء على خلفية العلاقة بين مفهومي الجنس الطبيعي (ذكر وأنثى) والجنس اللغوي (مذكّر ومؤنّث)، على الرغم من وجود بعض الأصوات التي تقول بعدم وجود علاقة دائمة بين مفهومي الجنس الطبيعي والجنس اللغوي، وعلى رأسهم "أحمد أمين".

من جانب آخر عمد جهابذة اللغة، لدعم فكرهم الإقصائيّ هذا، إلى التستّر بستار الأجمل والأبلغ، دون الإفصاح عن معايير واضحة تحكم درجات البلاغة والجمال التي اعتمدوها، كما لم يَغفلوا عن عمق الفجوة التي أحدثوها بإقصاء حيّز الأنوثة وتحييده، فحاولوا تغطية الشمس بغربال حين عدّوا ذلك تمييزاً إيجابيّاً لصالح المرأة، ومن أجل حفظ قدرها وإخفائها تحت عباءة التذكير عندما يكون ذلك أنسب!.. وهنا أيضاً لم يسلموا من الخطل، فتراهم يجهدون في تصنيف الإيجابيّ والسلبيّ كما يرونه، ويشيرون إلى الأنسب برؤية أحاديّة لا لبس فيها.

ولا يفوتنا أن اللغويين عدّوا التذكير أصلاً في اللغة، فهو أوّل، والتأنيث فرع منه، كما خُلقت حواء من آدم، (ما يدّل على أصالة اللغة وذوقها الرفيع) حسب تعبيرهم.. وإذا سألت عن مواضع الذوق والأصالة فيما ذهبوا إليه، ستجدها في عقولهم وأفكارهم، غيرَ خاضعة لمعايير علميّة أو وضعيّة.

وبالانتقال إلى أنواع أخرى من التغليب، سنجد تغليب العاقل على غير العاقل، والموجود على غير الموجود، والمتكلّم على المخاطب، والأكثر على الأقل، وهناك أنواع أخرى كثيرة كلّها تصبّ في سياق تغليب القويّ المتمثّل بالذكورة على الضعيف المرادف للأنوثة.

وإذا أردنا أن نحسن النوايا في معرض تعاطينا مع هذه الظاهرة، سنجد أن العربية على لسان لغويها، أبقت بعض قنوات الاتصال بين المذكر والمؤنث مفتوحة، إشعاراً بالتكامل والصلة بين الجنسين، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى ما يعبّر عنه في اللغة بـ "المجازيّ والحقيقيّ". وأيضا ما يصحّ فيه التذكير والتأنيث، فالشمس في العربية مؤنث، إلا أنها ليست جنساً حقيقيّاً، بل جنس نحويّ، وما بقي من التأنيث فيها فلأنها مصدر الحركة والحياة والتكاثر والنماء على الأرض كما المرأة، هكذا يبرّر جهابذة اللغة تأنيث الشمس في حين هي الأقوى، وكأن التأنيث هنا ليس صفة حقيقيّة فيها، ولم يستطع

"المتنبي" كتم ما يجول في نفسه. فأطلقها صيحة تفضح مكنونات فكره الذكوريّ حين قال:

وما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ/ ولا التذكير فخرٌ للهلال.

ولا يخفى هنا لِمَ حاول هؤلاء الإبقاء على قنوات مفتوحة بين التذكير والتأنيث. فرغم أن القمر مذكّر في العربيّة. إلا أن الجانب الأضعف فيه واضح. إذ لا يليق به التذكير. وما تأنيث الشمس لضعف فيها. فكأن المواقع هنا ليست حقيقيّة برأي المتنبي ومن خلفه فحولُ اللغة. بل هي مجازيّة. والحقيقيّ الكامن خلف هذه الأصوات هو التذكير للقويّ والتأنيث للأضعف.

وفي حُمّى التذكير والتأنيث تلك. يتندّر البعض بعرض مواقع ظلمت فيها اللغةُ العربية المرأة. متناسين أن الفكر الذكوري هو من طوّع اللغة وفصّلها لتتسع لسلطته في مواضع. وتضيق في مواضع أخرى. وفسّر وجيّر وأضاء وأغفل. فقال في تأنيث الحيّ: حيّة. وأتبعها بعبارة "أعاذنا الله من لدغتها". وفي تأنيث المصيب: مصيبة. والقاضي: قاضية. والنائب: نائبة. والهاوي: هاوية. مستشهداً بأفانين اللغة لتوصيف المرأة والحطّ من مكانتها. وتلك رسالة واضحة أرادها أعلام الفكر الذكوريّ للتدليل على مطبّات قد تقع فيها اللغة (الجندر). وصولاً إلى تكريس الصوت الذكوريّ وتغليبه على الصوت الآخر.

وأخيراً. فإنّ ظاهرة التغليب في العربيّة تتعارض مع أهم ما يميّز هذه اللغة من حيويّة واستمراريّة وغنى. ولعلّ الخطر الأكبر الذي يتهدّدها إنما يأتي على يد علمائها ولغويها. فهم يحكمون عليها بالجمود والضبابيّة والتراجع أمام غيرها من اللغات. وإذا عدنا قليلاً إلى التعريف بالتغليب. سنرى أنهم يغلّبون الأصل والأنبه والأشرف والأخفّ والأبلغ زيادة في التكريم والتعظيم. ما يعني الحكم على النصف الآخر بالدونيّة.

إتفاقية حقوق الطفل الجزء الخامس

المادة ١٨

تبذل الدول الأطراف قصارى جهدها لضمان الاعتراف بالمبدأ القائل إن كلا الوالدين يتحملان مسؤوليات مشتركة عن تربية الطفل ونموه. وتقع على عاتق الوالدين أو الأوصياء القانونيين. حسب الحالة. المسؤولية الأولى عن تربية الطفل ونموه. وتكون مصالح الطفل الفضلى موضع اهتمامهم الأساسي.

في سبيل ضمان وتعزيز الحقوق المبينة في هذه الاتفاقية. على الدول الأطراف في هذه الاتفاقية أن تقدم المساعدة الملائمة للوالدين وللأوصياء القانونيين في الاضطلاع بمسئوليات تربية الطفل وعليها أن تكفل تطوير مؤسسات ومرافق وخدمات رعاية الأطفال.

تتخذ الدول الأطراف كل التدابير الملائمة لتضمن لأطفال الوالدين العاملين حق الانتفاع بخدمات ومرافق رعاية الطفل التي هم مؤهلون لها.

المادة ١٩

تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية والإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال. وإساءة المعاملة أو الاستغلال. بما في ذلك الإساءة الجنسية. وهو في رعاية الوالد (الوالدين) أو الوصي القانوني (الأوصياء القانونيين) عليه. أو أي شخص آخر يتعهد الطفل برعايته.

ينبغي أن تشمل هذه التدابير الوقائية. حسب الاقتضاء. إجراءات فعالة لوضع برامج اجتماعية لتوفير الدعم اللازم للطفل ولأولئك الذين يتعهدون الطفل برعايتهم. وكذلك للأشكال الأخرى من الوقاية. ولتحديد حالات إساءة معاملة الطفل المذكورة حتى الآن والإبلاغ عنها والإحالة بشأنها والتحقيق فيها ومعالجتها ومتابعتها وكذلك لتدخل القضاء حسب الاقتضاء.

المادة ٢٠

للطفل المحروم بصفة مؤقتة أو دائمة من بيئته العائلية أو الذي لا يسمح له. حفاظا على مصالحة الفضلى. بالبقاء في تلك البيئة. الحق في حماية ومساعدة خاصتين توفرهما الدولة.

تضمن الدول الأطراف. وفقا لقوانينها الوطنية. رعاية بديلة لمثل هذا الطفل.

يمكن أن تشمل هذه الرعاية. في جملة أمور. الحضانة. أو الكفالة الواردة في القانون الإسلامي. أو التبني. أو. عند الضرورة. الإقامة في مؤسسات مناسبة لرعاية الأطفال. وعند النظر في الحلول. ينبغي إيلاء الاعتبار الواجب لاستصواب الاستمرارية في تربية الطفل ولخلفية الطفل الإثنية والدينية والثقافية واللغوية.

المادة ٢١

تضمن الدول التي تقر و/أو تجيز نظام التبني إيلاء مصالح الطفل الفضلى الاعتبار الأول والقيام بما يلي: (أ) تضمن ألا تصرح بتبني الطفل إلا السلطات المختصة التي تحدد. وفقا للقوانين والإجراءات المعمول بها وعلى أساس كل المعلومات ذات الصلة الموثوق بها. أن التبني جائز نظرا لحالة الطفل فيما يتعلق بالوالدين والأقارب والأوصياء القانونيين وأن الأشخاص المعنيين. عند الاقتضاء. قد أعطوا عن علم موافقتهم على التبني على أساس حصولهم على ما قد يلزم من المشورة. (ب) تعترف بأن التبني في بلد آخر يمكن اعتباره وسيلة بديلة لرعاية الطفل. إذا تعذرت إقامة الطفل لدى أسرة حاضنة أو متبنية. أو إذا تعذرت العناية به بأي طريقة ملائمة في وطنه. (ج) تضمن. بالنسبة للتبني في بلد آخر. أن يستفيد الطفل من ضمانات ومعايير تعادل تلك القائمة فيما يتعلق بالتبني الوطني. (د) تتخذ جميع التدابير المناسبة كي تضمن. بالنسبة للتبني في بلد آخر. أن عملية التبني لا تعود على أولئك المشاركين فيها بكسب مالي غير مشروع. (هـ) تعزز. عند الاقتضاء. أهداف هذه ** المادة بعقد ترتيبات أو اتفاقات ثنائية أو متعددة الأطراف. وتسعى. في هذا الإطار. إلى ضمان أن يكون تبنى الطفل في بلد آخر من خلال السلطات أو الهيئات المختصة.

الحريم والحريم المضاد بين الواقع والمتخيل
قراءة في منهج فاطمة المرنيسي

فراس يونس
شبكة المرأة السورية

تبلور الخطاب الكولونيالي في سياق الهيمنة الاستعمارية على بلدان وشعوب العالم في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والجنوبية، وارتسم خطاب استشراقي عبر صوغ "حقائق" متوهمة ولا تاريخية عن عالمنا العربي والإسلامي على وجه الخصوص، بلغة "الأنا والآخر" بالغة العنصرية والتفوق والسلبية، من أجل تقديم صورة حضارية وإيجابية عن البلدان والمجتمعات المتقدمة. وقُدِّمَ الشرق بوصفه مستودعاً للمعرفة الغرائبية أكثر مما هو مجتمع وثقافة يشتغلان وفقاً لمفاهيمهما الخاصة. في صميم ذلك التوجه يقع مفهوم الحريم، محور تلك النظرة الاستشراقية ذات البعد الكولونيالي، التي أسهم مفكرون من أمثال إدوارد سعيد وإعجاز أحمد وفاطمة المرنيسي، كلٌّ من موقعه العلمي والأكاديمي، في تفكيك آليات الخطاب الناتج عنها ومراميه ومضمون سردياته عن عالمنا الاجتماعي المعقد، بعيداً عن خطابات الاستشراق وإبهاماته.

مركزية مفهوم الحريم عند المرنيسي:

تركزت جهود فاطمة المرنيسي خلال بحوثها الدؤوبة على مفهوم "الحريم"، لما يحتمله من تقاطع ظواهر تاريخية واجتماعية، كمدخل تفسيري لقراءة النصوص الإيديولوجية وعلاقتها بالواقع المتحرك في كل عصر، وصولاً إلى حقبتنا التاريخية التي تتسم بالوحدة الترابطية بين مكونات عالمين غير متكافئين، تربطهما مع ذلك آصرة الوحدة الداخلية المعقدة والمتوترة، التي تجد أصداءها في انخراط ملايين الشابات والشباب في ميادين العمل الكفاحي، من أجل التحرر والمساواة والعدالة، والإجابة على أسئلة التحرر الضروري من شباك التبعية، المفتاح الاستراتيجي الحاسم لحرية شعوبنا وتحرير إرادتها بملء المعرفة والقوة الجديرتين بها، حال توفر شروط وعي كوني وشامل بأسباب "تخلفنا" و"تقدمهم"، وتوفر جواب على سؤال نهضويينا العرب عن هاتين القضيتين، كمن ألقى حجراً في ماء راكد، أثارت دراسات المرنيسي في مياه ثقافتنا العربية المعاصرة وجامعاتنا الكثير من ردود الأفعال والصخب البحثي، وصارت منطلقاً تأسيسياً في صياغة رؤى معرفية لفهم أدق لواقعنا التاريخي، بعيداً عن التبجيل الزائف أو الإنكار المجحف. فاطمة المرنيسي من مواليد مدينة فاس عام ١٩٤٠، تابعت دراستها في الولايات المتحدة، ونالت دكتوراه دولة في موضوع "الجنس هندسة اجتماعية" في علم الاجتماع العائلي عام ١٩٧٣، عادت بعدها لتدرّس في الكلية التي درست فيها بالمغرب، وقد ارتبطت أبحاثها حول الحريم بالدفاع عن المرأة والترافع من أجل تحقيق المساواة ونيل الكرامة المستحقة، من خلال البحث والتنقيب في التاريخ العربي الإسلامي خاصة والإنساني عامة [1].

لم تتوقف المرنيسي عند الاشتغال على مفهوم الحريم، وما يكشفه من علاقات قوة – ضعف كما استقر في الشرق، بل تابعت تبدلاته بأفق صناعة معرفية ثقيلة في كيفيات انتقال هذا المفهوم إلى الغرب، الذي كان ومايزال، يمور بكل عوامل الهيمنة العالمية واستشراف كل ما هو خارجه بدلالة خطاب كولونيالي، وفي القلب من هذا الخطاب اللاعلمي واللاتاريخي تمركز مفهوم الحريم في بؤرة اهتماماته، كشف اشتغال المرنيسي على أكاذيب هذا الخطاب تناقضاته، وآليات تقديم الشرق بالصورة النمطية، وتكريسها في الإيديولوجية السائدة وتعبيراتها التي أضحى الإعلام والدعاية واحداً من أهم وسائلها الفعالة.

تلك البنية النمطية لا تخرج، كما تؤكد المرنيسي، عن النظر إلى الحريم من زاوية الجنس والمتعة والاستعباد، في إلغاء تام للمقدرات العقلية للمرأة، من خلال شبكة المفاهيم التسلطية التي تدور حولها من جهة، وآليات الاستثمار الإيديولوجي التي عمل عليها

المنهج الاستشراقي بدأب من جهة أخرى. وهو ما تصل إليه المرنيسي في استنتاج محق، من حيث أنه ثمة حريم متوهم وحريم تاريخي، وأن ما كتب وقيل وأنتج من فنون وسينما مليء بالمتخيل البعيد عن الواقع التاريخي. وفي هذا السياق تقول المرنيسي إن الغربيين لا يختزنون في أذهانهم إلا أشكال حريم تكونت انطلاقاً من الصور التي نسجها فنانوهم. في حين "أني أختزن في ذهني قصوراً واقعية ذات أسوار شاهقة مشيدة بأحجار صلبة من قبل رجال أقوياء كالخلفاء والسلاطين والتجار. إن ((حريمي)) يحيل إلى واقع تاريخي. أما((حريمهم)) فيستمدونه من الصور التي رسمها فنانوهم الذين كانوا يستمتعون بخلق نساء سجينات، ناسجين بذلك رباطاً لامرئياً بين المتعة والاستعباد. الحريم الشرقي حقيقي والحريم الغربي ((أي كما تخيله الغرب)) وهمي وغير حقيقي". تؤكد المرنيسي أن العنصر الأساسي المكون للحريم الغربي هو المرأة الخاضعة المستسلمة (٢).

على هذا الأساس لا يقوم منجز المرنيسي على إنكار "الحريم" بطبيعة الحال أو التقليل من خطورة ما ارتسم من مخيلات وجدانية معاشة، بل على إعادة صياغة مقاربته في تناوله التاريخي، بعيداً عن الجانب الشهواني والاستيهامي، الذي يستمرئه خطاب الاستشراق إذ يصور عالم الحريم كعالم متعة، دون أن يخفى البعد التلصصي بالمعنى السيكولوجي لهذا الخطاب الاستشراقي وأعماله الفنية.

تعيد المرنيسي بناء حجارة هذا العالم المغلق المحطم القلب والمشبع بالمكائد والصراعات الداخلية الدموية، تبعاً لصراعات القصر وموقع سيد القصر (الخليفة أو السلطان الحاكم)، وهو ما تعبر عنه "بمأساوية الحريم". لتصل في النتيجة إلى أن الحريم ليس معطى شرقياً خالصاً، فللغرب أيضاً حريمه الخاص، لا سيما في الأعمال الفنية والأدبية.

ويشير الباحث المغربي "عبد الرحم علال" في دراسته المعنونة "البنية الذهنية للحريم في حفريات فاطمة المرنيسي" إلى مساهمة الفن التصويري في تكوين صورة غير حقيقية عن النساء الشرقيات، فنساء الحريم كنّ أبعد عن الشهوانية والفراغ والعري كما صورتهم أعمال "ماتيس وانجر" و"بيكاسو". في تأكيد لقول "المرنيسي" بأن نساء الحريم في الشرق لم يكُنّ مستسلمات بالاستناد إلى التاريخ الإسلامي. ومن خلال القصص والملاحم نتبين "صورة عن الرجال وهم لا يشعرون بالاطمئنان إلى الحريم، ويعيدون عن الأبطال الواثقين من أنفسهم كما يوحي بذلك الفنانون الغربيون في أعمالهم."

شهرزاد خلاصة سيرة التشويه:

تمثل شخصية شهرزاد، من خلال تجارب حية عايشتها المرنيسي، مثالاً نموذجياً لتحولها في العين الاستشراقية من إنسان حقيقي ينبض بالحياة والدفاع المستميت عن الحق في الوجود والتحرر والكرامة والمساواة، إلى امرأة لا تتقن إلا فنون الإغراء واستخدام الجسد الفاتن، في سياق عالم شهواني غني خارج عن إطار التاريخ والصراعات الاجتماعية.

بيت القصيد في عملية التفكيك المنهجي للمرنيسي يقوم على كشف مخاطر استبطان الخطاب المعرفي "الغربي". وإعادة إنتاجه وتبنيه من قبل المؤسسات والنظم الثقافية العربية والإسلامية، رغم تعارضها الظاهري مع هذا الخطاب. مايزال المثقف العربي ينظر إلى عالمه مسكوناً وأسيراً برؤى ذلك الخطاب. والخطوة الضرورية للتحرر العملي تكمن في تجاوز تلك الرؤى وتبيان دوافعها.

هذا ما أجابت عنه ثورات الربيع العربي المُدَمّى. وحضور نون النسوة الكفاحي في رسم أفق التحرر للنساء الشرقيات ومجتمعاتهن. كأنهن ينتقمن لجدتهن شهرزاد، بتبديد الوهم، والإمساك بخيوط التحرر في سياق تتابع تاريخي طويل من جيل إلى جيل.

(2) (1)من دراسة عبد الرحمن علال المشار إليها في متن المقال.

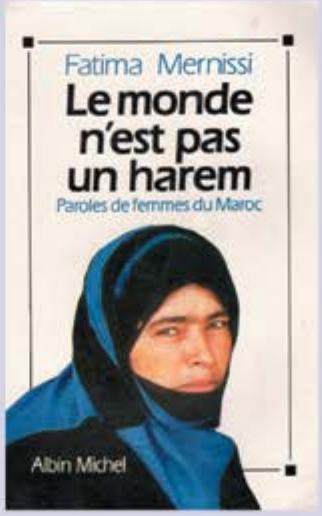

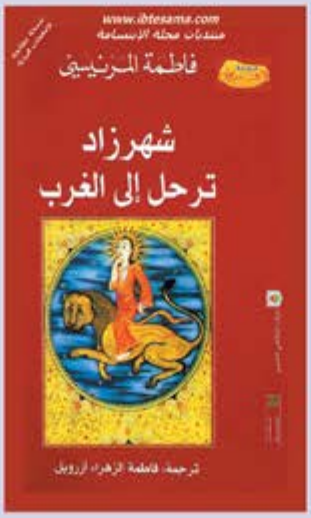

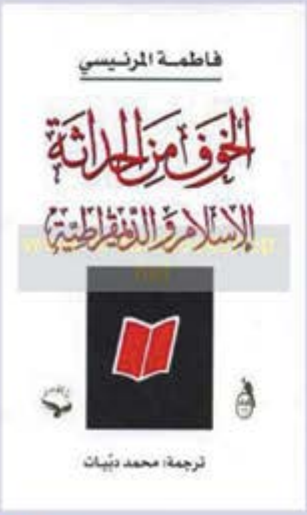

أن تكون امرأة صحافية: يعني الالتزام والعديد من التحديات 2/2

ترجمة: د. إنعام شرف

بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، قامت منظمة مراسلون بلا حدود هذا العام بتكريم عشرة من الصحافيات اللاتي تركن وما زلن يتركن أثراً كبيراً في مجال العمل الصحفي. عشر نساء من مختلف الخلفيات الثقافية ومن أربع مناطق جغرافية مختلفة. كل واحدة منهن حدثتنا عن مهنتها والتزامها، وعن التحديات والمخاطر التي واجهتها وما تزال تواجهها في إطار عملها الصحفي.

بعد أن بقيت مهنة الصحافة حكراً على الرجال لوقت طويل، أصبحت اليوم تمارس أيضاً من قبل النساء. البعض منهن اخترن الالتفات نحو التحقيقات الصحفية المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان أو الفساد أو موضوعات يمنع تناولها في بعض المجتمعات. والعمل على هذا النوع من الموضوعات يثير حساسية البعض ويتسبب بإزعاجهم، لذلك وكما هو حال زملائهن من الرجال، تكون تلك الصحافيات في كثير من الأحيان ضحيةً للترهيب والتهديد والاعتداء وفي بعض الأحيان للقتل. ولأنهن نساء، فإن الضغوط تأخذ في بعض الأحيان أشكالاً من نوع مختلف، تتعلق بالتمييز على أساس الجنس، كحملات التشهير والعنف الممنهج على أساس الجنس، أو تهديد عوائلهن. فكون المرأة صحافية وحده كافٍ لاعتبارها، في بعض المجتمعات، خارجة عن القواعد والمعايير الاجتماعية، وكافٍ كذلك للانتقام منها.

في هذه المهنة التي ما يزال يغلب عليها الطابع الذكوري، تفضل العديد من النساء الالتزام بالصمت حيال الصعوبات والمخاطر التي يواجهنها أثناء ممارستهنّ العمل. وبحسب الدراسة التي نشرتها المؤسسة العالمية للنساء العاملات في الإعلام (IWMF) في العام ٢٠١٤، فإن حوالي ثلثي الصحافيات اللاتي تم سؤالهنّ (وعددهن ٩٧٧)، يؤكدنّ أنهن وقعن ضحيةً للتشهير والتهديد أو الاعتداء بسبب عملهنّ في الصحافة. وفي ثلث الحالات، كان المسؤول عن هذا الترهيب هو المدير في العمل. وبحسب الدراسة أيضاً، فإن ما يقارب نصف هؤلاء الصحافيات واجهن التحرش الجنسي، وأكثر من خمسين صحافية منهن، كنّ عرضةً للعنف الجسدي. وعلى الرغم من التأثير النفسي الذي تتركه هذه الاعتداءات، فإن الغالبية العظمى منهن يفضلن الالتزام بالصمت حيالها ورفض الحديث عنها.

بعض الصحافيات يخترن أن يكنّ شاهدات. ففي مقابلة، أجريت عام ٢٠١٤ مع صحفية أفغانية تعمل لدى "مراسلون بلا حدود"، قالت: "بقيت مدة سنتين أتلقى التهديدات بشكل دوري، إما عن طريق الهاتف أو رسائل مجهولة المرسل... وفي كل مرة يطلبون مني التخلي عن عملي وإلاّ سأكون مسؤولة عن مقتل أحد أفراد عائلتي". في نهاية المطاف قررت هذه الصحفية تقديم استقالتها وفضح ما كانت تتعرض له خلال أداء عملها. المؤسف في الموضوع غياب الحماية من قبل السلطات في المجتمعات الذكورية، وبالتالي فالإفلات من العقاب يغذي دوامة العنف على نطاق واسع، ويدفع بعض النساء للتخلي عن مهنهنّ.

أما السلامة الجسدية، فما زالت تشكل تحدياً أمام بعض الصحافيات، مثل "زينة ارحيم"، الصحافية السورية التي تقوم بتدريب مواطنين على العمل الصحفي في إطار "مشروع المواطن الصحفي" في شمال سوريا. وكذلك الأمر بالنسبة للصحافية الأفغانية "فريدة نيكزاد"، التي أسست وكالة "واخت نيوز" (Wakht News Agency). "هلا هلا هاتاي"، مراسلة وكالة الأنباء الفرنسية في ميانمار، و"مارسيلا توراتي"، صحافية تعمل بشكل مستقل مع وكالة أنباء مكسيكية، تواجه كل منهنّ صعوبات في كونها امرأة تعمل في مجال العمل الصحفي. "نوشين أحمدي خوراساني"، الصحافية الإيرانية و"ميا أزانغو" في ليبيريا تقدمتا بشهادة حول التحرش الجنسي الذي تعرضتا له بسبب التزامهنّ بالعمل الصحفي والدفاع عن حقوق المرأة. أما "خديجة إسماعيلوفا"، صحافية أذربيجانية تعمل في مجال التحقيقات الصحفية في أذربيجان، و"برانكيسا ستانكوفيك"، صحافية كبيرة ومعروفة من صربيا، فقد تعرضتا للتهديد أكثر من مرة بالاعتداء عليهنّ جنسياً. وفي جمهورية الكونغو الديمقراطية، تعيش "سولانج لوسيكي نسيمير"، المرأة الوحيدة التي تشغل منصب رئيس تحرير في الكونغو، قلقاً كبيراً على عائلتها، بالإضافة إلى أنها هوجمت أكثر من مرة وتلقت العديد من التهديدات. وأخيراً، المغربية "فاطمة الإفريقي" التي وجدت نفسها مجبرة على إيقاف جميع منشوراتها لحماية عائلتها وأقاربها.

وبالإشارة إلى المخاطر والتحديات التي تواجهها المرأة الصحافية، قامت منظمة الأمم المتحدة بوضع خطة عمل تتعلق بحماية الصحافيات وسلامتهنّ، واتخاذ الإجراءات اللازمة من قبل الحكومات اتجاه موضوع الإفلات من العقاب في المجتمعات الذكورية. هذه الخطة يجب بدء العمل بها وبشكل عاجل.

خديجة إسماعيلوفا، أذربيجان، صحافية مستقلة

خديجة إسماعيلوفا، صحافية تحقيقات، متخصصة في الموضوع الأكثر تحريماً في أذربيجان: (الفساد وصراع المصالح المتفشي في قمة هرم السلطة الحاكمة). في آذار عام ٢٠١٢، حاولوا إسكاتها من خلال تهديدها بنشر شريط فيديو عنها يحتوي على مشاهد مخلة بالأخلاق، لكنها لم تخضع لهذه التهديدات، ونشرت العديد من المقالات عن موضوعها.

قامت خديجة بتوجيه الضربات للنظام الحاكم، واحدة إثر أخرى، لكن النظام أيضاً عمل جاهداً لإسكاتها، ومرغت وسائل الإعلام الرسمية اسمها بالوحل موجهة إليها تهم بالتجسس والتشهير، وتم استدعاؤها أكثر من مرة للتحقيق، وفي شهر كانون الأول من العام ٢٠١٤ تم اعتقالها من قبل السلطات بتهم سخيفة وعبثية. منذ أشهر عديدة، وهي تعمل بلا كلل لمتابعة قضية مجموعة من المدافعين عن حقوق الإنسان، الذين قامت السلطات باعتقالهم، وهيأت من أجل هذا الهدف الدعم القانوني اللازم ومعونات للأسر. كما أنها قامت

بتوزيع قائمة بأسماء المعتقلين السياسيين. وتعمل بشكل يومي على شد انتباه المجتمع الدولي لقضايا الاعتقال التعسفي في أذربيجان .

صحيح أن السلطات تمكنت من وضع خديجة خلف القضبان، لكنها لم تتمكن من إسكات صوتها. ففي الرسائل التي قامت بإرسالها إلى الخارج، بقيت تندد بالنظام وتدعو إلى المقاومة الشعبية، ما أدى إلى وضعها في زنزانة منفردة. ومن زنزانته التي تبعد عشرات الأمتار عن زنزانة خديجة، قام الصحافي المستقل "سيمور خازي" بتكريم زميلته من خلال رسالة مفتوحة تم نشرها في شهر كانون الثاني عام ٢٠١٥: "لا أعرف إذا كان النظام الذكوري السائد في مجتمعنا هو المتسبب في كل هذا... لكن عندما كان آباؤنا يرغبون بالحديث عن قوة وتصميم وشجاعة امرأة، كانوا يقولون دوماً: إنها امرأة قوية كالرجل. اليوم، إذا رغبت بوصف رجل شجاع ذو إرادة وعزيمة قوية، أقول: هذا الرجل كخديجة إسماعيلوفا."

برانكيسا ستانكوفيك، صربيا، رئيسة تحرير مجلة إنساجدير (Insajder) للتحقيقات

منذ تأسيسها عام ٢٠٠٤ من قبل محطة (B92) التلفزيونية الصربية، وبرانكيسا ستانكوفيك تدير برنامج التحقيقات في مجلة إنساجدير .(Insajder) هذه الصحفية التي كشفت عن العديد من الفضائح المتعلقة بالفساد، وسلطت الضوء على علاقة المافيا بالوسط السياسي والاقتصادي في صربيا، تدفع اليوم ثمناً باهظاً لأنها تجرأت على فعل ذلك.

وكلما كانت تكشف حقائق أكثر، كانت التهديدات والضغوط تتكاثر ضدها، إلى درجة أنها ومنذ ٢٠٠٩ حظيت بتخصيص أربعة من رجال الشرطة لمرافقتها وحمايتها أثناء تنقلاتها. إجراء يفرض الكثير من القيود، لكنه ضروري ولا بد منه، وقد تم اتخاذ القرار بخصوص هذا الإجراء من قبل وزير الداخلية، عندما أصبحت التهديدات والشتائم تتكاثف وتزداد ضد الصحفية، ولا سيما على صفحات التواصل الاجتماعي .

في السادس عشر من كانون الأول ٢٠٠٩، وبعد نشر العدد المخصص من إنساجدير لتناول قضية تساهل السلطات والعدالة الصربية في تعاملها مع الجرائم التي يرتكبها أنصار بارتيزان بيلغراد(Partizan Belgrade) . تم وضع دمية قابلة للنفخ في مدرجات كرة القدم أثناء إحدى مباريات الدوري الأوروبي، أخذت هذه الدمية تردد أغنية سمعها جميع من كان في المدرجات عن "برانكيسا العاهرة". وهذا تماماً ما حصل مع الصحافي "سلافكو كيرفيجا" قبل مقتله منذ عشر سنوات .

ورغم الخطر الذي تتعرض له والضغوط والقيود التي يفرضها رجال الشرطة عليها، تتابع برانكيسا اليوم عملها في التحقيقات الصحفية. قامت عام ٢٠١٣، بنشر سيرتها الذاتية في كتاب عنوانه "إنساجدير: قصتي". تعد برانكيسا واحدة من ١٠٠ "بطل" يعملون لصالح مراسلون بلا حدود، كما أنها تلقت في العام ٢٠١٤ جائزة "الشجاعة في الصحافة" التي تقدمها المؤسسة الإعلامية الدولية للمرأة .(IWMF)

هلا هلا هتاي، ميانمار/بورما، مسؤولة عن مكتب وكالة الأنباء الفرنسية(AFP)

تعمل هلا هلا هتاي منذ ٢٠٠٤ كمراسلة لوكالة الأنباء الفرنسية (AFP) في ميانمار/بورما، وكانت قد بدأت عملها كصحفية في ظل نظام الحكم العسكري القمعي. تعد هتاي من أوائل الصحافيين الذين تمكنوا من التقاط الصور للمشروع السري الذي يقوده جنرالات من السلطة مصابون بداء جنون العظمة، لبناء العاصمة الجديدة، نايبيداو .(Naypyidaw) وفي العام ٢٠٠٧،

قامت بتغطية أحداث القمع الدموي "لثورة الزعفران"، لتقوم بعدها بسنة واحدة بتوثيق الأثر المدمر للإعصار النرجسي، في حين أن الرقابة العسكرية كانت تضرب، وبقوة، كل من يحاول فضح التنظيم الكارثي للمساعدات الإنسانية التي تشرف السلطات المحلية على توزيعها. تقول هلا هلا هتاي: "كنا، في ظل المجلس العسكري، مراقبين طوال الوقت، حتى إنني اضطررت إلى تغيير رقم هاتفي أكثر من مرة لأتمكن من الاتصال بمصادري، وقد كلفني ذلك الكثير مادياً."

وخلال هذه السنوات من نظام الحكم الديكتاتوري، ورغم التشديد الأمني والمخاطر التي كان يمكن أن تتعرض لها أثناء تنقلاتها، استطاعت هلا هلا هتاي المشاركة في برنامج للصحافة في رانغون، وفي برنامج تدريب لمدة ثلاثة أشهر في كمبوديا، وبعد سنتين من العمل كمحررة في "دار اليوم للنشر"، التحقت بفريق عمل وكالة الأنباء الفرنسية، وهي تدير اليوم مكتب الوكالة في مدينة رانغون .

فريدة نيكزاد، أفغانستان، مؤسس وكالة واخت للأنباء (Wakht News Agency)

مؤسس مشارك ورئيسة تحرير سابقة في وكالة باجهوك الأفغانية للأنباء، أمضت فريدة نيكزاد الاثنا عشر عاماً الأخيرة من حياتها تحت تهديد أعداء حرية الصحافة الذين حاولوا أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة، اختطافها وقتلها. في العام ٢٠٠٧، وبينما كانت تجري تحقيقاً حول مقتل الصحافية "زاكية زكي"، تلقت اتصالات هاتفية ورسائل عبر البريد الإلكتروني تهددها بنفس المصير الذي لاقته زميلتها، لكن هذا لم يؤد إلاّ إلى زيادة وتعزيز تصميمها على الدفاع عن حرية الصحافة والمعلومات، وكذلك عن حقوق المرأة .

أسست في العام ٢٠٠٨ وكالة واخت للأنباء(Wakht News Agency) . وهي مازالت تديرها إلى اليوم وتستثمرها في توظيف النساء الصحافيات بهدف تغطية موضوع حقوق المرأة في البلاد، بشكل خاص. ورغم الصعوبات المالية، فإن الوكالة تتمتع بشبكة قوية من المراسلين عبر البلاد. وتعد الوكالة من أهم مصادر المعلومات المستقلة في أفغانستان .

في العام ٢٠١٤، أصبحت فريدة نيكزاد رئيسة اللجنة الإعلامية في الجهاز الداخلي التابع للجنة الانتخابية المستقلة، التي تشرف على نزاهة وسائل الإعلام القائمة بتغطية الانتخابات الرئاسية، طيلة عدة شهور، وفي جو من التوتر الشديد، التزمت فريدة بالرد على انتهاكات القواعد الانتخابية المرتكبة من قبل وسائل الإعلام، وباشرت بإجراء تحقيق حول الشكاوى العامة المتعلقة بتغطية الانتخابات .

حصلت فريدة نيكزاد على العديد من الجوائز العالمية، بما فيها جائزة "الشجاعة في الصحافة" التي تقدمها المؤسسة الإعلامية الدولية للمرأة .(IWMF)ورغم المخاطر والتهديدات التي تتعرض لها فريدة، إلاّ أنها لا تزال تشكل رأس الحربة في النضال من أجل حقوق المرأة. وتقوم أيضاً بحملة نشطة لإصلاح الإطار القانوني المحيط بالعمل الصحفي، سعياً منها لإيجاد السبل والوسائل التي تحمي الصحفيين بشكل أفضل، وتمنحهم فرصة ممارسة عملهم المحفوف بالمخاطر في كثير من الأحيان.

المصدر: الموقع الرسمي لمنظمة "مراسلون بلا حدود"- ٢٠١٥
http://fr.rsf.org/etre-femme-journaliste-05-03-2015,47646.html

بين براميل الأسد والمنافي أين أطفال سوريا من الهوية

كريمة رشكو - ألمانيا
شبكة المرأة السورية

اللغة هي الأداة الأقوى التي تحافظ على التراث، الحضارة، العرق والتاريخ، تساعد على تطوير الوعي الثقافي في كافة أنحاء العالم، وتحقق التضامن الحقيقي المبني على التفاهم والتسامح والحوار. ولأهمية هذه العامل، فهو الأكثر عرضة للخطر، إذ "يؤدي إقصاء اللغة إلى حرمان المتحدثين بها من حقهم الإنساني الأساسي في الانتفاع بالمعارف العلمية". كما تقول المديرة العامة لليونسكو).
لذلك، أعلنت اليونسكو في مؤتمرها العام سنة ١٩٩٩ عن جعل يوم ٢١ شباط يوماً عالمياً للغة الأم، هادفة من هذا الإعلان إلى تعزيز التنوع الثقافي وتعدد اللغات، وتعزيز التفاهم الدولي.

والجدير بالذكر أن اختيار هذا التاريخ يرمز إلى اليوم الذي فتحت فيه الشرطة النار في مدينة دكا، عاصمة بنغلاديش حالياً، على التلاميذ الذين خرجوا متظاهرين للمطالبة بالاعتراف باللغة الأم. الواحد والعشرون من شباط، قد يكون يوماً عابراً ككل الأيام لدى البعض، إلا أن له دلالات تاريخية لا يفهمها إلا من قدم الدم والملايين من الشهداء من أجل الحفاظ على لغته وأصالتها وتاريخها.

اللغة إذن هي إحدى مقومات الوجود والهوية، فلا يمكن لشعب ما أن يؤكد على هويته أو يواكب الأحداث إن لم يستخدم لغته الأم كلغة للحياة اليومية. وها نحن اليوم نأتي لنكتب عن اللغتين الأوسع انتشاراً في سوريا الوطن، العربية والكوردية، وضياعهما في أوروبا نتيجة إهمال أطفالنا السوريين الذين ولدوا هناك أو هاجروا إليها في الصغر، حيث نلاحظ أنهم يتكلمون اللغة الأجنبية أكثر من اللغة الأم.

نعلم جميعاً أن اللغة العربية من أكثر اللغات التي تعرضت للإقصاء عالمياً، وكذلك الكوردية، وأن الشعبين قدما الكثير من التضحيات للحفاظ عليها. يقول رئيس تيار المستقبل الكوردي في سوريا، السيد "سيامند حاجو": "لكل لغة أهميتها حاضراً ومستقبلاً، فنحن نتعلم الإنكليزية مثلاً، لأننا ندرك أنها لغة عالمية ونحتاجها في العمل، إلا أن أبناءنا يعتقدون أن اللغة الكوردية غير مهمة في ألمانيا مثلاً، سوى للتواصل مع الأهل والأقارب في الوطن، والمسؤولية برأيي يتحملها الأهل، فالاهتمام باللغة الألمانية فقط هو بحد ذاته خطأ كبير، لابد أن يتكلموا في البيت باللغة الأم لأنهم سيتعلمون تلقائياً لغة البلد الذي يقطنونه من خلال المدارس والاحتكاك مع أبناء البلد، لذلك لابد من إقناع الأهالي بضرورة الانتباه لمدى أهمية اللغة الأم، ففي سوريا المستقبل سيكون للغة الكوردية مستقبل، وليس من الضروري لمن يتعلم لغته الأم طبعاً أن يكون مدافعاً عن حقوقه المشروعة، لكن رغم ذلك لابد أن نعلم أولادنا لغتنا، فمن غير المعقول أن تطالب بحقوقك وأنت لا تتقن لغتك، وكما قلت آنفاً، في سوريا المستقبل لا يمكن للحركة الكوردية أن تطالب بجعل اللغة الكوردية لغة رسمية، في وقت لا تتمثلها كلياً بإتقان أبنائها لها، وهذه هي المشكلة الكبيرة، فأغلب بياناتنا السياسية هي باللغة العربية، ولابد من الكتابة بالكوردية أيضاً".

يضيف: "لنا آمال كبيرة في سوريا المستقبل، سوريا التي نطمح أن تضمن الحقوق الكوردية بما فيها اللغة الأم".

يحدثنا السيد "خالد الزايد"، رئيس الجالية السورية في هانوفر عن أن العالم العربي مر بفترات رهيبة وفظيعة، لا سيما فترات الاحتلال، فكانت لذلك حتماً تأثيرات سلبية على اللغة العربية، حيث تمكن المحتل من إدخال لغته في الحياة اليومية، لا سيما شمال أفريقيا، فعلى سبيل المثال في جنوب سودان، وبالرغم من أن المحتل لم يصل إلى تلك المنطقة كثيراً، لكنهم لا يزالون يستخدمون اللغة الفرنسية، بقناعتي أن الشعب العربي تمكن من الحفاظ على لغته وتاريخه، والفضل أيضاً يعود للقرآن الكريم، فالقرآن يجسد اللغة العربية الحقيقية، وأي دخيل لا بد من القضاء عليه، هذا بشكل عام عن اللغة العربية ومراحل محاولات إقصائها".

مشكلة الأجيال الموجودة في ألمانيا ذات بعدين، الأول متمثل في الرجال الذين تزوجوا من ألمانيات، فكان حظ الأطفال من اللغة العربية ضعيفاً جداً، الأم تتحدث معهم بلغتها الأم، وهنا تصدق تسمية اللغة الأصلية باللغة "الأم"، لأن لغة تتحدث بها الأم ستكون الأساسية، ومهما حاول الأب العربي التحدث مع أطفاله بالعربية، ستكون حتماً كلمات قليلة ولفترة وجيزة.

أما البعد الآخر فهو الأطفال من والدين عربيين، يرتادون المدارس، المعاهد والجامعات، ويتحدثون إلى الأصدقاء بالألمانية، ويكون التيار الخارجي بذلك أقوى من التيار الداخلي أي المنزل.

حتماً هذه مشكلة كبيرة جداً، فالجيل العربي ربما يفهم اللغة العربية، لكن سيجيب باللغة الألمانية وكأنه أجنبي، ولا أعتقد أن الأجيال القادمة ستكون لها صلة باللغة الأم، لذلك أنصح الأهالي إرسال أبنائهم إلى المدارس أو المكاتب التي تعلم اللغة العربية، حتى ولو لساعة واحدة فقط في الأسبوع، كي لا ينسوا تاريخهم وأصلهم.

أما عن الحلول التي لابد من إيجادها للحفاظ على أجيالنا ولغتنا، فيقول السيد "عبد الحميد خليل" رئيس جمعية أزادي الكوردية الألمانية، أن على الوالدين المسؤولية الكبرى، لكن لا بد من الاعتراف أيضاً أن الطفل ينخرط في المجتمع الأجنبي منذ أعوامه الأولى، واستخدامه للغة الأم يقل يوماً بعد آخر، لكن إن كانت للوالدين أو لنقل للشعب، رغبة في تعليم أطفالهم اللغة الأم، فبإمكانهم مطالبة الحكومة بتعليم أطفالهم ساعتين في الأسبوع، فهناك تسهيلات من قبل الحكومة بهذا الخصوص، وبمكن تخصيص معلم للغة الأم، وبذلك سيتعلمون الكثير من الكلمات، أما عن الحل الأمثل، فلا بد من تواصل الأهل مع أطفالهم، ولكن للأسف، ونتيجة التكنولوجيا واستخدامها من قبل الأطفال والأهالي، قطعت تلك العلاقة التي كانت موجودة بين الأهل والأطفال، وتلك الطاولة التي كانت تجمع العائلة لم تعد موجودة.

إن ضياع اللغة الأم، في هذه الظروف التي خسرنا فيها أكثر من نصف مليون طفل، تعتبر خطوة خطيرة نحو ضياع كلي للغة.

لقد أثبتت الدراسات أن إتقان الأطفال للغتهم الأم يسهل عليهم تعلم لغات أخرى، وبعد ما أوردناه من آراء، فإن ابتعاد الأطفال عن لغتهم الأم ليس حضارة أو تطوراً، بل على العكس تماماً، لذلك لابد من التحدث معهم دائماً بها، متابعة الأخبار السورية بها، دفعهم للمشاركة في النشاطات والفعاليات السورية، توطيد علاقات صداقة مع عوائل سورية أخرى، تأسيس منظمات سورية مهتمة بالأطفال ولا سيما المراهقين، وتكليفهم بمهمات ونشاطات تاريخية، ليبحثوا دائماً عن تاريخهم ويحافظوا عليه، فضلاً عن عدم التباهي أمامهم بالتحدث بلغات أجنبية، لأن ضياع اللغة الأم هو ضياع للوطن.

سفيرة الفكر الاستراتيجي نوف الغامدي لسيدة سوريا:

"الأحزاب الدينية لا تمتلك برامج لحل مشاكل البطالة والتصحر والانفجار السكاني"

حاورها بشار عبود

تؤمن سيدة الأعمال السعودية الدكتورة نوف الغامدي بأن مشاركة المرأة في الحياة العامة بقوة أصبحت ضرورة ملحّة للمجتمع ككل وليس للمرأة وحدها، إذ لا يمكن تعريف المجتمع، بتعطيل نصفه لصالح النصف الآخر. لكن أهم ما تشدد عليه ضيفتنا هو أن كل عمل فردي مهما كان قيّماً، سيفقد تأثيره مع الوقت، إن لم يتمأسس ضمن منظومة عمل جماعية متكاملة.

تحوّلت الغامدي من دراسة الطب والعلوم الطبيّة، لتصبح عضو شرف في الهيئة الدوليّة الأميركية لسيدات الأعمال، فهي مستشارة للتخطيط الاستراتيجي المتقدم وأنماط التفكير، وخبيرة الإدارة الاستراتيجية والتسويقيّة، ومديرة لمجموعة تندرج تحتها العديد من المجالات الاستشاريّة، التربويّة والتعليميّة والإداريّة، وتطوير المنظمات، والدراسات الاستراتيجية، والتنمية الإدارية، والعديد من النشاطات المهمّة. تعتبر "الغامدي" نموذجاً مشرقاً للمرأة القادرة على إثبات ذاتها وتبوؤ دورها في عملية التنمية المجتمعية في المملكة العربية السعودية، وتقديراً لجهودها المتميّزة وإبداعاتها في مجال نشر ثقافة التنمية الإدارية والبشرية والتفكير الاستراتيجي، منحتها الأمم المتحدة منصب سفيرة الفكر الاستراتيجي للمرة الثالثة على التوالي، كما حصلت على وسام التميز الأوروبي من الهيئة العليا للدراسات الاستراتيجية والاستشارات الإدارية الأوروبية.

*** "لا خير في قوم ولّوا عليهم امرأة". كيف تستطيعين العمل في مجتمع تلقى فيه هذه المقولة حضوراً كبيراً، في ظل دعم غير محدود من قبل المؤسسات الدينية لفرض هذه الرؤية في أدق تفاصيل الوعي الجمعي داخل المجتمع؟**

مؤمنة بأنّه ليس في الإسلام ما يحرّم ولاية المرأة، ولم يرد في القرآن الكريم ما يحرّم ولايتها، سواء على نفسها أو على غيرها، ولاية صغرى كانت أو عامة، بل إنّ الآيات القرآنية تؤكد على المساواة بين الرجال والنساء في حمل مسؤولية الولاية، تدل على ذلك قصة ملكة سبأ، التي قدمها القرآن كنموذج حيّ للمرأة القوية في قمة هرم السلطة، والتي هي أعقل من الرجال، في موقفها الذي اتخذته عندما جاءها كتاب سليمان، حيث جمعت "الملأ" (مجلس المستشارين) وعَرضت عليهم الأمر، وبهذا فإن الله لم ينكر على قوم سبأ تولّي امرأة أمرهم، ولو أنه لا ولاية لامرأة لبيّن الخالق ذلك في كتابه المبين، حتى أننا نجد النبي سليمان قد أقر بلقيس ملكة سبأ على حكم اليمن بعد إسلامها، لنا أيضاً قصة السيدة خديجة وعمل الرسول الكريم لديها في تجارتها، كان سيداً كريماً يعمل عند سيدة كريمة، أرى في قصصهم عبراً لنا في حياتنا المعاصرة، وهم أولى أن نقتدي بهم.

*** تحوّلتِ من دراسة الطب والعلوم الطبيّة، إلى الانخراط في مجال الأعمال والتجارة، ثم ذهبتِ أبعد من ذلك، فأنت عضو شرف في الهيئة الدولية الأمريكية لسيدات الأعمال ومستشارة للتخطيط الاستراتيجي المتقدم وأنماط التفكير، كيف تفسرين هذا التحوّل لامرأة في مجتمع لا يرحّب بمثل هذا الحضور للمرأة في المشهد العام؟**

دائماً ما تكون القيود الاجتماعية والأعراف التي لا تمت للدين بصلة، عائقاً كبيراً أمام المرأة في كل المجتمعات، لكن هذه القيود في الوقت نفسه مغرية للمرأة الطموحة في تجاوزها وتخطيها، ودائماً ما يكون الإصرار والسعي نحو تحقيق الذات ووضع بصمة مختلفة في المجتمع حافزاً قوياً يساعدها على تحقيق المستقبل والتنمية المستدامة التي تطمح إليها، لا يعني ذلك السير عكس التيار بصورة شرسة ونزعة تمرد قوية، فهو دائماً يحقق نتائج سلبية ويدمّر التطلعات قبل تحقيقها.

أرى أن من الأفضل التعامل مع المجتمع بذكاء، ومحاولة استغلال الموارد والأدوات

والمُمكنات المتوفرة، لتحقيق الأهداف والتدرّج فيها دون التصادم الحاد، لا سيما مع مجتمع له خصوصية واضحة مثل مجتمعنا.

*** تركزين في أعمالك وإطلالاتك الإعلامية على ترسيخ فكرة أهمية الرؤية الاستراتيجية في العمل التجاري، إلى أي حد يمكن تطبيق هذه الرؤية على واقع حرية المرأة بشكل عام، وبرأيك من يتحمل مسؤولية واقع المرأة الاجتماعي الهش؟**

المسؤولية مشتركة بين المجتمع والفكر السائد من جهة، والمرأة ونظرتها إلى إمكانياتها

وإصرارها من جهة أخرى. فالمجتمعات التي تكون للنساء فيها المكانة والقدرة على اتخاذ القرارات الاستراتيجية والتأثير، تكون غالباً مجتمعات أكثر رفاهية ورقياً. فكثير من بلدان العالم أصبحت تعتقد أن وضع قيود على مشاركة النساء في بناء المجتمع والاقتصاد يحدّ من تنافسية الأعمال، ولذلك يتم السعي لرفع هذه القيود، كونه شرط مسبق للتنمية المستدامة والاقتصاد الذي يفيد محدودي الدخل، ويساهم في النمو الاقتصادي لفئات واسعة. إلا أن السعي باتجاه التمكين الاقتصادي للمرأة، والذي ينتج عنه تمكين اجتماعي، لا يؤدي إلى التطور الاقتصادي بشكل سحري، ولا التطور الاقتصادي يؤدي إلى تمكين المرأة مباشرة. فبينهما علاقة ترافقية، لكن كلاً منهما بحاجة لاتباع سياسات مناسبة لتحقيقه إلى جانب تحقيق العامل الآخر.

ويمكن القول إن المجتمعات التي تتمتع فيها النساء بالتمكين والحرية هي مجتمعات تنتظم وفق علاقات إنسانية مبنية على التراضي والتفاهم، حيث يشاهد الطفل أباه وأمه في علاقة توافقية مبنية على رضى الطرفين، وكذلك علاقته بأهله، ثم يراها في المدرسة حيث يطالب التلميذ بحقوقه الكاملة، ويعمل بمتعة وجدّ، ويتحضر بشكل جيّد ليبني مستقبله ومستقبل وطنه.

تنسحب هذه الرؤية على علاقة المدير بالموظف، والحكومة بمواطنيها، حيث يعطي الفرد لقانون المجتمع الحق بضبط حياته عن طواعية وثقة وتفكير بمصلحته والمصلحة العامة، ويعمل المجتمع على إعطاء وحفظ الحقوق لأكثر الفئات هشاشة، وتقديم ما يحتاجونه ليكونوا أحراراً مستقلين.

*** في ظل واقع جديد فرضته نتائج تحديات ثورات الربيع العربي، في إعادة المرأة إلى مربع الخوف والعزلة، هل من سبيل برأيك للنهوض بهذا الواقع الهشّ؟**

في عالم الرواني الراحل غبريال غارسيا ماركيز، تُسجّل الثورات والحروب والمغامرات والجنون والاستبداد على شخوصه من الرجال، بينما تنفرد الشخصيّات النسائيّة بالحكمة والصبر والتدبير والحاسّة التي لا تخيب أبداً. وحين سُئل عن ذلك مرّة، قال إنّ ذلك يمثّل رأيه في أدوار الرجال والنساء في الواقع.

خلال السعي للتغيير، كثيراً ما يحطّم الرجال العالم، بينما تحاول النساء الحفاظ عليه قائماً، وربّما تجسّد الأوضاع الراهنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هذه الحقيقة، وخير شاهد ما تقوم به النساء في العراق وسوريا وليبيا واليمن من إعادة بناء حياتهن وأسرهن التي تشرّدت في مناطق النزوح ومرافئ اللجوء، بل حتّى في مناطق النزاع نفسها.

هؤلاء النسوة، صانعات للحياة في بلاد امتهن بعض الرجال فيها صناعة الموت. وبطبيعة الحال فإن المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية تمثل الحلقة الأضعف، لذلك حاول الإسلاميون مصادرة حقوقها باسم الدين، والدين منهم براء.

أعتقد أن خيبة أمل المرأة من ثورات الربيع العربي مؤقتة، وانتصار من يدّعون الدين في تونس ومصر واليمن وسوريا، كان مؤشر هزيمة ساحقة لهم منذ البداية، والسبب هو أن مشاكل هذه الشعوب كبيرة جداً، وعلى رأسها الانفجار السكاني وتدهور الاقتصاد، والبطالة والتصحر، وليس لدى هذه الأحزاب أي برنامج علمي واقعي لحل هذه المشاكل، بل إنها تفاقمت أكثر فأكثر بسبب فكرهم العقيم، لذلك فانتصارهم دق المسمار في نعش الإسلام السياسي وكان بمثابة بداية الهزيمة لهم.

أرى أنه بهزيمة الإسلام السياسي انتصرت المرأة في نيل حقوقها السياسية والاجتماعية واستطاعت الخروج من مأزقها تدريجياً وليس بشكل كلي أو ما يسمى (شتاء النساء)، قضية الثقافة هنا مهمة جداً، لذا لا بد من تثقيف المجتمع وتوعيته بأهمية النهوض بواقع المرأة.

*** برزت في السعودية أسماء نسائية عديدة كحالات فردية، في محاولات منهن لنيل حريتهن وسط مجتمع وسلطة ذكوريين بالمطلق، هل يكفي بروز هذه الأسماء اللافتة لإجراء نقلة نوعية في واقع المرأة، أم أنه لا بد من وجود مؤسسات تحتضن هذه الكفاءات وتدعم من خلالها حضور المرأة في المجتمع وتقوّيه ضمن إطار مأسسة العمل الجماعي والمعرفي؟**

نحن نمثل اليوم جيل التغيير، وعلى المرأة أن لا تشتكي من المجتمع والظروف، لأن التغيير يبدأ من الفرد، ومن بعدها سينسحب على المجتمع بأكمله فالمرأة هي المكون الرئيسي للنسيج الإجتماعي والأسرة، وعلى المرأة أن

تحارب للوصول إلى حقوقها كاملة، وفق الضوابط الشرعية والقوانين المنظمة للبلد.

أنا أؤمن بحق المرأة في أن تكون أماً وزوجة وعاملة في الوقت نفسه. ففي عهد الملك الراحل عبد الله بن عبد العزيز بدأت المرأة فعلياً في ممارسة حقوقها في المجتمع، حيث أسس الملك عبد الله لذلك من خلال القرارات التي أصدرها، كي تحصل المرأة السعودية على كامل حقوقها، ويكمل من بعده الملك سلمان بن عبد العزيز مسيرة سلفه، بالحفاظ على المكتسبات التي حققتها المرأة في وقت مضى.

لكننا ما نزال نحتاج حقيقة إلى مؤسسات تدعم وجود المرأة وتثقّفها، وترفع كفاءتها في التعامل مع المعوقات وخلق الفرص التي تُحررها اقتصادياً وتأخذها بعيداً عن الضغوط التي تؤثر على قراراتها الإجتماعية. كما نريد أن تدعم تلك المؤسسات مطالب المرأة في تجديد القوانين التي تُعيق مسيرتها إلى قوانين عصرية تُناسب احتياجاتها ولا تتعارض مع مجتمعها.

*** تقديراً لجهودك المميّزة وإبداعاتك في مجال نشر ثقافة التنمية الإدارية والبشرية اختارتك الأمم المتحدة للمرة الثالثة سفيرة للفكر الاستراتيجي. كيف تقرئين هذه الثقة، وكيف تستطيعين عكسها على واقع المرأة في المملكة؟**

عندما ننقل التجارب الدولية إلى مجتمعاتنا، لا بد أن نقرأ احتياجاتنا وطبيعة المجتمع وخصائصه جيداً، حتى لا نصطدم بمؤشرات مختلفة. فنحن لا نُقولب تلك التجارب علينا، وإنما نعمل على دمجها بصورة تليق بثقافتنا ومبادئنا، ونبحث عن النجاح في تنفيذها من خلال محاكاة احتياجات المجتمع لا رغباتنا الشخصية، وقد يكون هذا ما عزّز الثقة وجعلني أحقّق نقلة لا بأس بها في هذا المجال.

والحقيقة أني أعمل جاهدة لتغيير النمط الروتيني لرؤية المرأة، ومحاولة إخراجها من الحدود الوهميّة التي أحاطت نفسها بها وساهم الفكر السلبي في دعمها، كما أسعى دائماً إلى تحريرها اقتصادياً من خلال منظومة متكاملة من التثقيف والتدريب والمتابعة، ومحاولة تعزيز دورها في المجتمع (كمواطن) يتمتع بكافة الحقوق، وليس مجرد أنثى تستجدي حقوقها، وأنا أثق كثيراً بالمرأة السعودية التي استطاعت أن تضع بصمة مميزة على خريطة العالم.

*** تعملين حالياً على تكوين فكر مؤسسي وسط الشركات العائلية في المملكة. كما تعملين على نشر ثقافة التميز المؤسسي وإعداد برامج موجّهة لسيدات الأعمال. برأيك متى يمكن للمرأة السعودية أن تحصد ثمار نتائج مثل هكذا أعمال في بلد تنتشر فيه ثقافة الذكر والمجتمع البطريركي؟**

يوجد تنافس وتصادم واختلاف في الرؤى والأفكار، لكن أن يكون الرجل خصماً للمرأة لمجرد كونه ذكراً، فهنا يقال "لقد خدعوك وخدعونا". على المستوى الاجتماعي تُجيد المرأة السعودية فن الإلهاء بكل احترافية، وبذكاء عالٍ وجدارة، كنوع من الدفاع عن حقوقها. تؤجج موضوع قيادة السيارة وتُصعّده إعلامياً فينشغل الجميع معها بهذا الموضوع، وفجأة نراها تنضم إلى مجلس الشورى كعضو دائم فيه!

تُعيد الكرّة من جديد، وينشغل الجميع معها مرة أخرى، وفي اللحظة المناسبة تدخل إلى سوق العمل، وتباشر فيه بصفتها عاملة وموظفة ومسؤولة حتى المرتبة الرابعة عشرة، وهي أعلى رتبة في الدولة، تعاد الكرّة مرة ثالثة وينشغل الجميع كالعادة، وفي اللحظة المناسبة تنضم إلى السلك القضائي من باب المحاماة وقريباً إلى القضاء. إنه فن الإلهاء، أن ينشغل الجميع بمطلب ليس بتلك الأهمية، ثم تتحقق مكتسبات في غاية الأهمية، من يجيد هذا الفن حتماً سينتصر، ومن ذاق طعم الانتصار عن طريق هذا الأسلوب، فسيتقنه أكثر، وكلما أتقنه تربّح منه أكثر، وهذا ليس قدحاً بل مديحاً فهو ميزة وموهبة، المرأة السعودية تتقن هذا الفن، وربما ستصل به غداً إلى أعلى منصب وزاري، وقد تتسلم ملف الرياضة السعودية بالكامل.

*** وأنت المعنيّة بقضايا مجتمعك، هل المرأة مستعدة لخوض معركتها الوجودية، في ظل خضوعها لمفاهيم كبيرة ضاغطة مثل "الولاية" و"الوصاية" على سبيل المثال؟**

تحتاج القوانين دائماً إلى تجديد ومزامنة للواقع الحالي بما يتناسب مع التشريعات الدينية والسياسية والاجتماعية. صحيح أن هناك نظرة فوقية إلى المرأة على أنها "قاصر" تجب الوصاية عليها حتى لو كانت أكثر من الوصي علماً وأكبر سناً، إلّا أن هذه النظرة ليست تجاه المرأة فقط، وإنما هي نظرة موجهة في كل اتجاه، من أستاذ الجامعة إلى

تلاميذه. من الخطيب الواعظ إلى الحضور. من الرئيس إلى مرؤوسيه. وهذا يقودنا إلى أن وضع المرأة في المجتمع ليس استثناء حتى يقال إن مجتمعها مجتمع ذكوري. لأن هذه النظرة تحملها حتى المرأة تجاه المرأة! وحين أراد البعض تبرير نظرة المرأة تجاه المرأة بهذه الفوقية والوصاية قال: "إن من يحملن هذه النظرة من النساء تجاه النساء، فإنهن متلبسات بروح الذكورة."

أنا على ثقة بأن المستقبل يخبئ لنا الأفضل. فالتغيير في بلادنا يحصل بمعدل سريع. ونحن قبل عشر سنوات لم نكن نتصور أن تكون المرأة نائب وزير، أو عضواً في الشورى، أو مديرة جامعة.. المرأة في بلادنا اليوم تمتلك صوتاً مؤثراً من خلال منابر مختلفة، تعبر فيها عن رأيها ومطالبها بكل حرية. واستجابة القيادة في المملكة لهذه المطالب فاقت كل التوقعات.

*** يستسهل الكثيرون في مجتمعاتنا العمل في الشأن العام، نتيجة ضعف الخبرة وانتشار ثقافة "الأنا" المريضة، بل يذهبون إلى تسخيره لأهداف وغايات معنوية ومادية شخصية صرفة. كيف يمكن لك أن تساهمي في تغيير هذه الصورة النمطية عن العمل العام، بحيث يكون أداة لرفع مستوى الوعي في المجتمع ككل؟**

مع الأسف يعمل البعض بالفعل وفق أجندات شخصية وغايات مادية، لتحقيق رغباتهم دون الالتفات لاحتياجات المجتمع، وتكون النتيجة معايير إنتاجية متدنّية وتأثير اجتماعي معدوم. لذا أعمل على رفع الوعي من خلال تعزيز ثقافة (المسؤولية الاجتماعية) وتعزيز برامجها ودعمها وتطويرها، بحيث يكون لها أثر واضح وملموس وقابل للقياس على الفرد والمجتمع، بعيداً عن الفكر الشخصي والأنا المريضة والأمجاد الشخصية، وصولاً إلى التنمية المستدامة.

*** كامرأة تمكنت من الحصول على حريتها بجدارتها في العمل والحياة، برأيك ما هي نسبة النساء اللواتي حصلن على هذه الحرية**

في المملكة. وهل لديك أنت ومثيلاتك همّ مجتمعي لنشر ثقافة الحرية في السعودية، إذا اعتبرنا الحرية شرطاً أساسياً لقدرة الوطن على الاستمرار والنهوض والمشاركة في الحضارة البشرية.

الحرية تولد دائماً معنا ولا نكتسبها. تنبع من داخلنا وليس من خلال مجتمعنا. والمرأة السعودية مُخيّرة لا مُسيّرة. حصلت على مساحة حرية كبيرة لا يُستهان بها في ظل مساحة أخرى ما زالت تحكمها العادات والأعراف البالية. أنادي دائماً بالحرية المسؤولة البعيدة عن الإسفاف، والتي تُضيف إلى المرأة ولا تنتقص من شأنها. لا بد أن تتواجد المرأة في النقاشات التي تدور حول تحديد مصيرها. فمن يتحدث باسمها ويشير إلى حقوقها هو الرجل! وقبل كل شيء لابد أن يكون هناك حوار بين الرجل والمرأة، وأن يُعطى المجال لتحديد اهتماماتها، واتخاذ القرار الذي يعبر عنها. وإذا كان هناك تغيير يحدث في المجتمع السعودي، فيجب أن تكون المرأة جزءاً منه لتعبّر عن تجربتها.

*** ماذا تقولين للمرأة السورية في ظل ما تعانيه الآن من أوضاع مأساوية؟**

المرأة السورية أثبتت هويتها الحقيقية ودورها في بناء الأوطان، لا سيما في سنوات الأزمة التي أظهرت بشكل جليّ كيف يمكن لهذه المرأة التي ترعى منزلها وأطفالها، وتقدم ابنها شهيداً لتراب الوطن، وتتحمل أعباء حياة قاسية فرضتها الحرب، أن توازي الرجل وتنزع عن وجهها أقنعة العصرنة والترف، وتنزل إلى ميادين القتال، لتقول هذا الوطن لي، ولن أسمح لأحد أن يقرر لي كيف ومن أكون. فالمرأة السورية تقرر بنفسها كيف ستجعل الأرض تدور. وهذا يتطلب انخراطها بشكل فعلي في العمل السياسي وبأدوار قيادية. كما يتطلب هذا جهود القيادات السياسية السورية الذكورية، بإفساح المجال للسيدات اللواتي لديهن القدرة والإمكانية للمشاركة في اللقاءات السياسية، لإعطاء تلك اللقاءات نتيجة وفعالية.

انخراط المرأة في بناء المجتمع المدني ممر أساسي لسوريا الديمقراطية، ليس لأن المجتمع المدني هو أساس التغير الديمقراطي فقط، بل لمساهمته في بناء السلام والمحافظة عليه، ولا بد من تمكين السوريات في مجتمعاتهن المحلية، لأن أي سلام ما بعد الصراع، يمر من خلال تنظيم المجتمعات المحلية، وللنساء هنا دور كبير بسبب نقص عدد الرجال الناشطين في المجتمع السوري، نتيجة القتل والاعتقال والاختفاء وغيرها من تبعات الحروب.

على السوريين أن يدركوا قبل غيرهم، أن أي حديث عن مستقبل بلدهم، سيعني الكثير من الخلاف والتصدّع وهدر الدم والجهد، إن لم تكن المرأة حاضرة فيه وبقوة.

لا يولد البشر مرة واحدة

بشرى عبد الحميد البشوات

حين تعلّمت "نسرين" السباحة وصارت مدربة ومنقذة، لم يخطر في بالها أنها ستقطع يوماً ما البحر المتوسط هرباً من الموت السوري، لتصل إلى "أرض الأشباح والعجزة" حسب وصفها للسويد.

هربت نسرين مع أهلها إلى لبنان حيث عائلة والدتها، بقيت هناك شهوراً طويلة قبل أن يقرروا أن لبنان ليس نهاية المطاف. من مطار رفيق الحريري في بيروت، سافرت جواً مع شقيقها وابن شقيقتها الذي يبلغ من العمر ثمانية أعوام، لتصل إلى الجزائر العاصمة، تقول: "وصلت صباحاً دون خطة، حاولنا الاتصال بمهربين للدخول إلى تونس دون جدوى، البعض طلبوا مبلغاً خيالياً، والبعض الآخر أرادوا أن يعبروا بنا الصحراء وهو طريق محفوف بالمخاطر، التقينا بمجموعة من السوريين، وأصبحنا ثمانية أشخاص وطفل، جاءت سيارة تقلنا إلى تونس، كان الطريق طويلاً، حشرنا في سيارة (بيك آب)، وكنت الفتاة الوحيدة بينهم حين انطلقت السيارة في طريق وعرة وبسرعة جنونية، بعد ساعة توقفت لنبدأ رحلة السير على الأقدام بهدوء دون أي صوت حسب توصيات المهرب.

كان التعب قد تملك ابن اختي الصغير، كونه يعاني أصلاً من داء زيادة الشحنات الكهربائية، كنا كلما قطعنا مسافة يسلّمنا شاب لشاب آخر (كأننا قطيع)، حتى دخلنا الأراضي التونسية، بعد أربع وعشرين ساعة وصلنا إلى فندق أمضينا فيه ساعتين، حيث جاءت سيارة نقلتنا بهدف الاختباء في منزل يضم العديد من العائلات السورية، في منتصف الليل بدأت عملية تهريبنا إلى ليبيا مرة بالسيارة ومرة بالسير على الأقدام، كنا نسمع أصوات إطلاق الرصاص علينا، حيث طاردتنا سيارات (المشلحين).

كنّا نخاف السائقين والمهربين على حدّ سواء بالرغم من ديباجتهم المتكررة (لا تخافوا فنحن هنا لمساعدتكم). وصلنا إلى ليبيا فجراً، دخلنا بيتاً متطرفاً يعج بالنساء والرجال والأطفال، ارتحنا قليلاً، ثم بدؤوا عملية نقلنا إلى زوّارة التي سننطلق منها إلى إيطاليا، وبعد عمليتي نقل اختفت السيارة ولم ترجع.

كان الخوف مسيطراً، ننظر إلى الباب ونقول: سيدخلون لسرقة نقودنا أو ربما قتلنا في أية لحظة، كنّا محبوسين داخل البيت وفي الخارج هناك مسلحون أكبرهم في الخامسة والعشرين من عمره".

تصمت نسرين قليلاً ثم تتابع: "أكثر ما كان يخيفني أن يصاب ابن أختي بنوبة الصرع، وقد حدث ذلك فعلاً ولم أملك أن أقدم له شيئاً سوى أني ضممته وبكيت.

بقينا ننتظر القارب الذي سيقلنا إلى إيطاليا مدة خمسة عشر يوماً، عانينا خلالها انقطاع الماء والكهرباء وشح الطعام، ومما زاد الوضع سوءاً احتراق القارب، نقلونا بعد ذلك إلى بيت آخر تشاركنا فيه الأمكنة مع الحشرات والعقارب، كانت حولنا مزارع يقصدها متعاطو المخدرات ومدمنو الخمر، مرت الأيام مرعبة حتى أيقنا بأننا هربنا من الموت في بلدنا لنموت هنا في ليبيا.

مكثنا في ليبيا أربعين يوماً، ثم جاءنا اليوم الموعود، بدؤوا بتجميعنا على الشاطىء حيث جلسنا القرفصاء دون حركة أو همس، وكانوا إذا ما أصدر أحدنا صوتاً انهالوا عليه ضرباً دون

أن يستطيع أحد مساعدته (كأننا في معتقل للمخابرات السورية).

غصنا في البحر حتى الركب ووصلنا إلى قارب مطاطي كان يحمل كل ثلاثين شخصاً معاً، والشباب يحملون الأطفال فوق أكتافهم ويشقون الماء والعتمة. منعونا من حمل أي شيء باستثناء أوراقنا الشخصية والهواتف المحمولة والنقود، وكل حقيبة زائدة تلقى في البحر. صعدنا جميعاً، وفي تمام السادسة صباحاً انطلق القارب. كنا مبللين بالماء ومكومين فوق بعضنا البعض".

تتابع نسرين: "على متن جميع القوارب الخارجة من ليبيا هناك أفارقة يحملهم المهربون بتكلفة أقل بكثير من تكلفة نقل السوريين، وكان الخوف من تدافعهم وهياجهم يشكل مصدر رعب حقيقي لنا، إذ يهدد ذلك سلامة القارب وبالتالي سلامتنا. قائد القارب كان شاباً تونسياً يحمل جهاز ثريا، وقد بدأ يتواصل مع الصليب الأحمر وناشطة إيطالية في حقوق الإنسان، وما هي إلا دقائق حتى ظهرت البارجة الإيطالية التي كانت تكمل يومها الثالث والأخير في عملية البحث عن المفقودين والمهاجرين. كانت فرحتنا عارمة، بعد أن يتم نقلنا إلى سطح البارجة سيقوم الطاقم الإيطالي بإعطاب القارب وإغراقه في البحر. عاملونا بشكل حسن وأعطونا بعض البسكويت المالح، ووزعوا علينا أكياساً خاصة بالتدفئة. قضينا أربعاً وعشرين ساعة على سطح البارجة، وحين لاحت لنا الشواطىء الإيطالية لم نصدق، بقينا واقفين ننتظر الوصول إلى الشاطىء، وأخيراً رست البارجة ونزلنا في مخيم كان يعج بالمصورين والأطباء ورجال الشرطة، حيث قام الأطباء بفحصنا وقدموا لنا طعاماً، ثم صعدنا إلى بولمانات انطلقت بنا إلى مكان يشبه المشفى بأسرته البيضاء وغرفه الكبيرة.

حاولنا الهرب حتى لا تؤخذ بصماتنا، لكن الشرطة كانت لنا بالمرصاد، نقلونا إلى مكان آخر وأغلقوا علينا الأبواب.

تم عرضنا مجدداً على الأطباء وأرادوا أخذ بصمتنا فلم نقبل".

تضيف نسرين بكثير من القهر: "بدأوا باستدعاء الشباب واحداً تلو الآخر، ضربوهم وأجبروهم على أخذ البصمة، بعد ذلك رضخنا جميعاً لهم". تتابع وهي تضحك: "الشيء الوحيد الذي أتيح لي القيام به وما كنت لأقوم به لو كنت في سوريا، أني افترشت مع شقيقي وابن أختي الأرض، ورحت أصرخ في وجوههم وأردد بالإنجليزية: كذابين.. وقفت قبالتي عائلتان سوريتان، وراحوا يبكون مثلي لأننا أحسسنا بالخديعة (العالم كلّه كذب على السوريين).

أمضينا في إيطاليا ستة أيام، ثم صعدنا قطاراً في يومنا السابع، قطع بنا ألمانيا والدانمارك وصولاً إلى السويد.

أنا الآن في السويد منذ خمسة أشهر، ولم يتم البت في أمرنا حتى اللحظة لأن بصمتنا قد أُخذت في إيطاليا ومعنا ولد صغير لم تؤخذ بصمته وهو ليس ابن أي منا. ننتظر قرار القاضي: إما منحنا الإقامة أو ترحيلنا إلى إيطاليا، وفي هذه الحالة ستكون ألمانيا وجهتنا القادمة، حيث سننتظر شهوراً أخرى ربثما نحصل على الإقامة إن حدث وحصلنا عليها".

الحمل

ضغوطات ونزاعات، وأعمال متراكمة، ما يولد جواً متوتراً يجعلك غير قادرة على اتخاذ القرارات الصائبة. اضبطي نفسك وحاولي السفر أو تغيير مكان الإقامة. تجنبي التسرع في مشروع خطوبة أو زواج يخشى أن يقودك إلى الندم.

الثور

علاقاتك بالآخرين هي الأكثر أهمية هذا الشهر. أحسني التعامل وتقديم الأعذار وأقنعي المحيطين بوجهة نظرك. وإلا فأنت تسيرين باتجاه الفشل. قد تهتمين بأحد أفراد العائلة، أو تستقبلين أحد الأجنين في منزلك، وتعيشين حالة غريبة مع حبيب قديم.

الجوزاء

أرباح ومشاريع مميزة ونجاح هي عنوان هذا الشهر. لكن الابتعاد عن المواجهات وما يثير غيرة المحيطين بك ضروري لتجنب العوائق. تشرقين عاطفياً وتحصلين على ثقة الحبيب واهتمامه وعطفه.

السرطان

تظهرين عدائية وطيشاً في حياتك الشخصية والمهنية. التزمي القواعد والقوانين وتجنبي الحماقات. وكوني لينة وحكيمة، ودعي الأمور تتحسن تلقائياً. أمامك فرصة عمل جديد، تعاملي معها بجدية. عاطفياً تبحثين عن مصلحتك مع شريك غني تفضلينه على الحبيب الحالي.

الأسد

أوضاع معقدة وتراجع في المعنويات، أمام مشاكل قضائية ومحاسبية. أعيدي النظر وتحلي بالصبر ولا تدعي جهودك تذهب سدى. عاطفياً، تطورات ونوايا صادقة من الحبيب، قد يعرض عليك الزواج، ويخطط معك لمشاريع مشتركة للمرة الأولى.

العذراء

شهر مليء بالمشاغل لا تشعرين خلاله بالوقت، تؤدين نشاطات جديدة بقدرة عالية وتسوين مشاكل قديمة. عاطفياً: تطرأ ظروف تجعلك تحسمين أمراً لم يعد يحتمل التأجيل، هذا لا يمنع أن تعرفي بعض المفاجآت وبوحاً بالحب لم تتوقعيه.

الميزان

تستمر المعاكسات الفلكية التي بدأت الشهر الماضي ما يجعلك مستنفرة ومتوترة. التحدي والتصرف الفج لن يخلق إلا العداوات، عليك بالصبر وتجنب الغش والاحتيال. عاطفياً، يعدك الفلك بأوقات سعيدة ولقاءات استثنائية.

العقرب

تبذلين جهوداً لتحسين أوضاعك وتتكيفين مع المحيط بثقة وسعادة. قوتك الداخلية تجعلك تنتصرين على المنافسين وتتحملين مسؤولية فريق كامل. عاطفياً تخف المضايقات والضغوطات، ويتغير المناخ لكي تستعيدي التفاهم مع الحبيب بعد فترة من البرودة والجفاء.

القوس

تتعلمين جديداً أو تقدمين على دورة تدريبية أو تنفتحين على آفاق جديدة وجماعات تحفزك على النجاح فتحرزين جائزة على الصعيد المهني. عاطفياً، وعود جذابة وحب واتفاقيات وعودة الى العشق الكبير الذي فقدته منذ فترة.

الجدي

تدافعين عن حريتك في العمل وترفضين أن يقودك أحدهم أو يفرض عليك قراراته. تلفتين الأنظار وتجذبين إليك بعض النافذين والعاملين في الشأن العام. قد تنشأ علاقة رومانسية مع أحد زملاء العمل أو الأجانب الذين تتواصلين معهم لأسباب مهنية.

الدلو

مشاكل كبيرة وجوهرية هذا الشهر. ضعي خطة لتجاوز التحديات بدون إرهاق نفسك، حتى لا تصابي بمكروه.

عاطفياً، تجدين الحب في تصرفات الشريك الذي يحاول أن يخفف عنك وتعيشين شهر عسل جديد.

الحوت

تتبلور أعمالك وتحصلين على نتائج مشجعة جداً، وتفخرين بنفسك وتتألقين في كل الميادين الشخصية والاجتماعية والمهنية. عاطفياً، تعانين من ملاحقة عاطفية في العمل تزعجك أو من ابتزاز، لكنك تتلقين خبراً جيداً يتعلق بزواج أو لقاء.

الكلمات المتقاطعة

أفقي

١- ناشطة من أوائل المعتقلات السوريات- آلة إيقاع
٢- حبس- سوق في دمشق القديمة
٣- سرير- مستحيل
٤- معركة نفذها التحالف العربي
٥- أحد الطعوم(معكوسة)- راوي- يخفف عن
٦- قائد ماغولي
٧- جمع- عيون
٨- ينمّ- إحسان- حركة للبحر
٩- طير جارح- يشتاق(معكوسة)
١٠- منازل- إحدى منظمات الأمم المتحدة
١١- المعلم الثاني(معكوسة) – ألح
١٢- شهيدة من بانياس

عامودي

١- بعثة دبلوماسية- اسم علم
٢- رحل- من أنهار أميركا
٣- كابر (معكوسة)- لباس تقليدي
٤- عمودي- تنظر
٥- سنم (معكوسة)- اسم للسيف- ثلثي أصل
٦- تعب- مقطع- جريدة
٧- علامة فارقة في الجسم- عملة أجنبية (معكوسة) – يحني(معكوسة)
٨- لامس (معكوسة) – مصرف (معكوسة)- مدينة في درعا
٩- يهتم- أأدب
١٠- المعارك- يحتجز (معكوسة)
١١- سحب (معكوسة)- زوّج- بحر- وثيقة (معكوسة)
١٢- شهيدة سورية تحت التعذيب- من أسماء الأسد

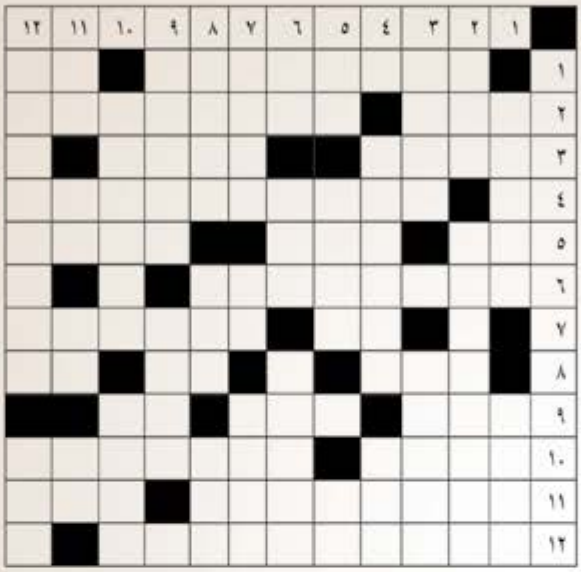

سودوكو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء الـ ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى تسعة دون تكرار.

			9	7	5	3		8
		9					5	
7	6		8		4	2		9
	4							1
	3		5		6		2	
1							7	
9		3	7		2		4	6
	7					8		
4		8	1	6	9			

كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من تسعة أحرف: مدينة في ريف إدلب

سرقت يدي حين عانقها النوم غطيت أحلامها نظرت إلى عسل يختفي خلف جفنين صليت من أجل ساقين معجزتين انحنيت على نبضها المتواصل شاهدت قمحا على مرمرونعاس بكت قطرة من دمي فارتجفت الحديقة نائمة في سريري ذهبت إلى الباب لم ألتفت نحو روحي التي واصلت نومها سمعت رنين خطاها القديم

ل	ص	ا	و	م	ل	ا	ن	ي	ت	ز	ج	ع	م	ج
ت	ي	ط	غ	ا	ف	م	ل	ي	ف	ت	خ	ي	م	ع
ا	ح	م	ق	ل	ا	س	ي	ة	ر	ط	ق	ع	ن	ا
م	ر	م	ر	ق	ر	ي	ر	ا	ن	و	س	س	ى	ن
ة	ا	ج	ي	د	ت	ح	ي	ل	ي	ا	ر	ل	ل	ق
ق	ل	ف	م	ي	ج	و	ر	ت	ن	ص	ق	ر	ع	ث
ي	ب	ن	د	م	ف	ر	س	ي	ر	ل	ت	ن	و	ه
د	ا	ي	ى	ا	ت	و	ا	ح	ن	ت	ذ	ب	ن	ا
ح	ب	ن	ل	ج	م	و	ن	ل	ا	ل	ه	ض	ع	ص
ل	م	ش	ع	ل	ا	ت	ف	ت	ل	ا	ب	ه	ا	ل
ل	ن	ف	ل	خ	ل	غ	ف	ي	د	ي	ث	ا	س	ي
ن	ن	ى	ل	ا	و	ي	ا	ه	ا	ط	خ	س	ن	ث
ي	ت	د	ه	ا	ن	ش	ا	ن	ى	م	ة	ر	م	ت
ح	ظ	ا	ه	م	و	ن	ت	ي	ن	ح	ن	ع	ا	ك
س	ن	ا	ق	ي	ن	ا	ه	م	ا	ل	ح	ا	ت	ب

السويداء في الثورة" حملةٌ يطلقها ناشطون في السويداء

فريق تحرير سيدة سوريا

أطلق "مركز السويداء خبر الإعلامي" في ١٣ تموز الجاري، حملة بعنوان "السويداء في الثورة"، وهي حسب الإدارة، حملة توعية وتحريك مجتمعي، تهدف إلى التأكيد على خيار محافظة السويداء كجزء من ثورة الشعب السوري، ضد نظام آل الأسد، وضد التطرف والتشدد الديني المتمثل بداعش.

وتحاول الحملة إظهار ذلك من خلال إبراز تضحيات محافظة السويداء وثوارها، حيث قدمت عشرات الشهداء تحت التعذيب في معتقلات آل الأسد، من شبانها، ضباطها وصف ضباطها المنشقون عن جيش النظام، والمنضمون إلى الجيش الحر منذ بداية الثورة السورية، كذلك الحراك المدني في السويداء، مئات الوقفات والاعتصامات والمظاهرات، التي سبقت بها العديد من أخواتها من المحافظات السورية الأخرى.

وتقول "مروة داود من إدارة الحملة"، إن الحملة التي عملت من خلال الجهد الكبير للناشطين المدنيين في السويداء، وخاصة ناشطي "مركز سويداء خبر الإعلامي"، للتأكيد على إمكانية الحراك السلمي، والعمل المدني في المحافظة، حيث يقوم ناشطو مركز سويداء خبر المشاركين في الحملة بتصوير أكثر من مئة وخمسين لافتةٍ كرتونيةٍ في معظم مناطق المحافظة، وتوزيع آلاف المنشورات ضد نظام آل الأسد، ووقوفاً مع الوحدة الوطنية لكل السوريين.

وتوضح "سمر ابو المجد" لمجلة سيدة سوريا أن أهمية حملة السويداء في الثورة، تأتي من كونها تنشط في فترة عصيبة تمر بها سوريا عامةً، والمنطقة الجنوبية خاصةً، حيث الكثير من الحساسية والتوتر جراء محاولات بعض المحسوبين على قوات النظام وغيرهم، اطلاق النار على أشخاص وخطف آخرين، يشمل ذلك مناطق التماس بين محافظتي درعا والسويداء.

ومن أهداف الحملة حسب "محمد ملاك" مدير مركز سويداء خبر الإعلامي.

-1أشار أهالي السويداء "موالين ومعارضين" أن الحراك السلمي والصوت الذي يعبر عن الثورة السورية، لا يزال موجوداً لم يحسمهُ عنف النظام ولا تنكيلُهُ بالناس.

-2وأن الناشطين لا زالوا قائمين على نشاطهم الثوري، بالرغم من الظروف الأمنية التي غيبتهم لفترة، والتأكيد على الأداء الراقي والشجاع للقائمين على الحراك المدني في المحافظة، وأنه خيار لا يزال أبناء السويداء متمسكين به.

-3وأن الحملة بحد ذاتها، وإمكانية تصوير اللافتات وتوزيع المناشير في مناطق المحافظة، تحدٍ لمجموعات الشبيحة وقوات أمن النظام، التي توعدت بالبحث عن الناشطين ومحاسبتهم، وعن نيتها إغلاق صفحة مركز سويداء خبر، التي تعبر ايضاً عن نشاطات الحملة.

وتوضح مروة داود وهي إحدى كوادر سويداء خبر، أن الحملة استطاعت أن تعيد للأذهان وأن تعرّف بجهد محافظة السويداء ومساهمتها في الثورة، وأنها لم تحد عن خطها الوطني، في رفض الإستبداد ونبذ الطائفية والإقتتال والإرهاب في سوريا.

حملة السويداء في الثورة جهد خاص تحت مخاطرة ظروف أمنية قاسية يعيشها ناشطو الحراك السلمي في السويداء، ربما كانت انعطافة وانطلاقة جديدتين تنشّط الفعل الثوري المدني في السويداء، بعد أن اعاقته إجراءات النظام وإجرامه.

أنكون شعبا جرد من الانتماء؟

نينار حسن

تروي لي إحدى الصديقات عن سيدة فرنسية تجاوز عمرها التسعين. تواظب منذ سبعين سنة على النزول من بيتها يوم ١٤ تموز من كل سنة (العيد الوطني الفرنسي) للاحتفال والرقص في ساحة حيها. لم تعد تسعفها سنواتها التسعون للرقص طويلاً. لكنها رغم ذلك ترقص لدقائق. قبل أن تتعب وتعود إلى بيتها.

عندما تسأل هذه السيدة السؤال المتوقع: لماذا تفعلين ذلك كل سنة. رغم أنك بدأت تتعبين؟ تجيب بثقة: كيف لي ألا احتفل بهذا اليوم؟ أنا فرنسية. وهذا العيد يمثلني ويمثل انتمائي !

هذا الجواب البديهي. يبدو غريباً لوهلة... نحن –السوريين- اعتدنا على النزول في المناسبات الوطنية. لنقيم حلقات الدبكة الإجبارية في شوارع المدن السورية!

ثورة آذار. الحركة التصحيحية. حرب تشرين. ذكرى تأسيس حزب البعث... كلها أعياد "قومية ووطنية" فرضت علينا. دون أن نشعر بالانتماء إليها والرغبة العارمة في الاحتفال بها..

يصعب علي كسورية ولدت في عهد الأسد الأب. وكبرت في عهد ابنه. أن أفهم شعور هذه السيدة وانتماءها إلى هذا اليوم العظيم في تاريخها.

هل نحن شعب جرد من الانتماء؟

أستطيع القول. إنني وجيلي من الشباب السوري. عشنا حلم الانتماء الجديد بعد ٢٠١١. أستطيع القول إننا أحسسنا بالانتماء للرقص العفوي في الشوارع والغناء في ساحات سوريا المنسية. وأننا اخترنا هذا الانتماء الذي يشبهنا أكثر من الشعارات والخطب التي تربينا عليها. وأننا حلمنا بأننا سنرقص ونغني لسوريا التي نحب. وأن يكون لنا عيدنا الذي يمثلنا ونفخر به..

في ٢٠١١. كنت أستطيع أن أتخيل نفسي أحتفل بعيدي الوطني في بلدي التي أحب.

في ٢٠١١. لم أكن لأستغرب قصة هذه السيدة الفرنسية كما أشعر الآن. أو كما كنت سابقا.

لكن هذا الجيل يتخبط اليوم بين ذكرى هذا الشعور المفقود بعد ٢٠١١. وبين حلمه ببلد يشبهه. يضيع بين الجهات والتيارات الدينية والعسكرية. وأمراء الحرب وتجار الدين والسلاح.

لنعد قليلاً إلى العيد الوطني الفرنسي: في ١٤ تموز. يحتفل الفرنسيون بذكرى تدمير سجن الباستيل. رمز الطغيان الملكي. وبانطلاق شرارة الثورة التي أنهت عهد الملكية في فرنسا.

إذن. وقبل أن تصل فرنسا إلى هذا التاريخ الذي تحتفل فيه بحريتها واستقلالها. مرت بمراحل طويلة من سفك الدماء والعنف المتبادل.

ربما يمنحنا هذا التاريخ الدامي بعض الأمل. نحن الذين فقدنا الأمل أمام فجائعنا وخيباتنا المتكررة خلال ما يقارب خمس سنوات. أقول ربما. لأنني أمارس الآن فعل المقارنة هذا وأنا في فرنسا. بعد سنين طويلة من انتهاء نزيفها. بينما أراقب سوريا في ذروة دمارها. بعين لا يمكن أن تكون حيادية أو عقلانية. وأنتظر بكل غيرة وعجز. أن أنافس شعور الانتماء عند هذه الشعوب التي استحقت بلدانها.

نعم. نحن شعب جرد من الانتماء. فبدأ يبحث عن انتمائه في بلاد لا يشبهها ولا تشبهه.

نحن الذين أصبحنا نستعيض بالمدن التركية والأوربية عن دمشق وحلب وحماة وحمص وطرطوس. وكل المدن التي تركناها!

نحن الذين أصبحت غازي عينتاب وأورفة واسطنبول وطناً بديلاً. لمعظمنا. بمفهوم الوطن الذي تستطيع فيه زيارة من تحب وممارسة طقوس حياتك القديمة في سوريا .

أن تحمل وطنك ومنزلك ومكانك المفضل في سوريا. إلى تركيا. البلد الوحيد في العالم الذي يستقبلك كسوري بلا شرط ولا فيزا ولا موافقة أمنية. لتقيم عرسك أو تحتفل بالأعياد وطقوسها.. أن تخاف من تخيل مدينتك لأنك متيقن أنك لن تستطيع رؤيتها كما تركتها أو كما حفظتها في مخيلتك.. أن تعلق صورك القديمة. التي استطاعت الهروب معك. على الجدار في بيتك الجديد. تماماً في مواجهة النافذة المفتوحة على الشارع والساحة. حيث تقتحم أصوات الألعاب النارية والاحتفالات جدران بيتك. وتدخل إلى حيث يقبع ذلك الفراغ في روحك وفي ذاكرتك. محتلاً البقعة الصغيرة في داخلك. والتي تسمى: الوطن. أنت إذا تنتمي لشعب جرد لوقت طويل من الانتماء..

تمبكتو قدّيسة الصحراء

عفاف خليفي

في مواجهة آلة الإرهاب التي تجتاح شقوق التّاريخ، استطاع المخرج الموريتاني عبد الرحمن سيساكو الخروج بنا من دائرة المُشاهدة العُنفية لوقائع الحرب الأصولية التي فتكت بمالي في فيلمه الجديد "تمبكتو"، الذي يصوّر فترة احتلال جماعة "أنصار الدّين" لتمبكتو وعبثهم فيها. اختيارنا للحديث عن هذا الفيلم ليس ناتجاً فقط عن مواكبة نجاحه الكبير عالمياً (ترشيحه للأوسكار وفوزه بجائزة سيزار كأفضل فيلم وأفضل مخرج لسنة ٢٠١٤)، بل لفرادة العمل السينمائي في ذاته.

هل بإمكاننا نحن، المُشاهدين الثّابتين لمجازر الإرهاب اليومية، أن نستوعب الواقعة سينمائياً؟ كيف سننظر ونتلقى ونُعاين الفكرة سينمائياً؟

علينا أن ندرك بداية أنّ السينما ليست وسيطاً لقصّ الحكايات، بقدر ما هي وسيط جمالي لتوليد الأفكار وإعادة ترتيب زمنية الفعل داخل الصورة، وهو ما أبدع فيه المخرج سيساكو.

يتراوح الفيلم أساساً بين خطّين متداخلين: تلاوة التعاليم الجديدة للجماعة لفرض تحريماتهم.

وتعامل أهالي تمبكتو مع الإرهاب المسلّط. وبين هذين الخطين يقع النسيج السّردي السيميائي للفيلم.

للمدينة تلك الخصوصية التي نجح المخرج في تصويرها، فبان وجهها التّاريخي من خلال كادر سينمائي فيه جمالية ودقّة عالية. وظّف المخرج ثلاث أساطير بدت متغلغلة في كلّ تفاصيل الصورة هي: الصّحراء، البداوة والحرّبة، وهي الأقانيم الثلاثة لتاريخ تمبكتو وسرّ جماليّة الصورة.

"تين بكتو" رائحة الحرير والتوابل، تقاطع قوافل الملح في الصّحراء القديمة، سمّاها المارّون على اسم عجوز طارقية تُدعى "بُكتو" تحفظ أماناتهم إلى أن يعودوا. عجوز الصحراء المقدّسة أسرت عقول الكثير من الأوروبيين والأمريكيين، فرحلوا إليها واحتضنتهم تماماً كما احتضنت أعراقاً مختلفة قبلهم. جدّة

الصحراء كطوارقها الذين كانوا طيّبين زاهدين، خيامهم في الرّيح، لم يرثوا سوى أسمائهم في مدينة تعاقب كلّ الغزاة عليها.

امرأة التّاريخ الكسيح تمبكتو تُنازع الموت البطيء وتقاوم وحدها أفول أسطورتها، فيحاول أهلها تأخير القيامة بوضع حصيرة سميكة لسدّ ثغرة أُحدثت في باب جامعها العتيق، ما يرمز في مخيالهم إلى نهاية العالم.

يعبّر المخرج عن فكرته من خلال الحضور الكثيف للمرأة، عبر مشاهد وحكايات تحمل فيها كلّ امرأة صفة من صفات المدينة.

بائعة السّمك التي تنحدر من قبائل البوزو تواجه الشرطة الإسلامية كما أفتت لنفسها، وترفض إجبارها على ارتداء القفاز، تصرخ في وجوههم وتقول إنّها لن تلبسه، فهي وأهلها رفيعو الشّرف دون قفاز. ثمّ إنّ فكرة بيع السّمك بارتداء قفاز قطني تبدو فكرة حمقاء.

أيضاً يبدو التّعبير عن المرأة الطارقية بداية وفيّاً لخصوصيتها داخل مجتمعها، فهي لا تخضع لأيّ تمييز أو دونية، لأنّ المجتمع الطارقي أمومي في تركيبته، تتحمل فيه المرأة مسؤولية، ولها كلّ الحرّية بعيداً عن الحكم الذكوري. نلمس هذا في مشاهد الحوار بين الزوجين المقيمين في الصحراء، يقول أنّ صبرها هو ما يجعلهم صامدين وباقين هناك في أرضهم. كل التّفاصيل تدلّ على مكانة المرأة الطارقية نظرته إليها وهي تحدّثه، تعامل الأب مع طفلته، عزفه وغناؤها النّدي كليل الصحراء.

ليس في عرف الطارقية الخضوع، وهي صاحبة القرار في مجتمعها. يبدو ذالك في مشهد زيارة الأصولي لها وهو يأمرها بتغطية رأسها، تقول له أنّ ليس عليه النظر إذا كان لا يريد، وتستمرّ في طقوس غسل شعرها كأنّ أحداً لم يمر.

قصّة العائلة الطارقية هي الخيط الرابط بين كل التفاصيل الباقية في الفيلم، تصل ذروة الحدث عند إعدام الزّوج بتهمة القتل، تختار المرأة عدم الانصياع، حتّى وإن كان ثمن تمردها على أحكام الجماعة حياتها، وفي مشهد القتل الأخير تلتقي بزوجها نداً في الموت أيضاً.

اعتمد المخرج سيساكو لغة سينمائية قائمة على الصورتين السمعية والبصرية بالتّوازي، ما تطلب فنّية عالية في الاشتغال على الصورة السيميائية لبيان دلالة وجودية لفكرة المقاومة، تصويره لمشهد جلد المرأة وهي تواصل الغناء، إعلانها الرفض والصمود، صوت الغناء يرتفع وصوت سياط الجلاّد في آن.

في أكثر النّماذج إبداعاً دلالياً شخصيّة "زابو" المرأة المُتّسمة بالجنون، من أسقط عنها الحكم في تشريع المُتشدّدين، زابو عين الحقيقة ولسانها، تقف أمام الإرهابيين تنعتهم بالحمقى، تمقتهم، توقف سيرهم، تفلت من أحكامهم، كأنّها الوجه الآخر للحضارة الرّافضة لقتامة الإرهاب.

هذه الكثافة الرّمزية تبرز في مجموعة آليات، كاللون والمونتاج وزاوية الرؤية، وما يتطلبه تموقع للكاميرا في تفاصيل خاصّة هو جزء من الدلالة، لعب المخرج على التفاصيل التعبيرية للوجوه ومساحة واسعة للمكان، ما نجح في جذب الإحساس الجمالي للمتفرّج وانتباهه، دون الخروج عن الإيقاع الدرامي للمشاهد.

يبدأ الفيلم بمشهد يكتمل رمزياً ودلالياً عند النّهاية: الإرهابيون يلاحقون ظبية في الصحراء، وينتهي بركض الطفلة الطارقية في ذات المساحة، المشهدان متطابقان دلالياً، الطفلة الطارقية امرأة تمبكتو ظبية الصحراء.

لكن يبدو أنّ الطرح الفكري للفيلم بعيد عن حقيقة ما حدث من مجازر في تمبكتو، حيث بدت صورة الإرهابيين ناعمة، خِلاف الحقيقة الأكثر دموية، وبدا لهم وجه إنساني لم نره في الواقع.

TIMRIIKTII

كلّ عامٍ وأنت لي وطن..

لونا العبدالله

هل أجدِكَ في غدٍ يقيّدُهُ الأمس؟ أسألُ نفسي تحتَ وطأةِ الأصفاد. منذُ ثلاثين عاماً حملتُ في رحمي وطناً، وولدتُهُ عشباً يعلو وجهَ المِحَن.. أسألُ ذاكَ الذي أجهضني ملايين السنين، لو كُنتُ عاصِفَتَك وكنتَ عُشبي، أكنتُ أنتَ وكُنتَ أنا؟.

سماءٌ بيضاءُ مثل ضمير الزمن تغيّرُ لوحة الغمام المنهمر بالحزن، تخبرني أن لا أمس في غدٍ منتَظر، ولا غدَ في أمسٍ محتضَر.. فلتختَصِرْ.

كلّ عامٍ وأنتَ لي وطن..

الآن.. الآن تكاد السّاعةُ تدقّ عُنُقَ آخرها، أحصي أنفاسَ اللحظات الأخيرة.. باقٍ من العامِ قبلكَ عشرُ دقائق، في مثلها منذُ عامٍ مضى كنّا سويّاً، نبني جسرَ العبور إلينا، أتكون الخطوات للغدِ نحوَ الوراء؟!

في الغربة، تحملُ جنيناً أسمّوه امتحاناً: وطن، وفي السجن أحملُ جنيناً أسمّوه اتّهاماً: وطن..

وكلانا أنتَ وأنا.. نمارسُ ولادةً بكماء.. أنتَ هناك وأنا هُنا، ولستَ هناك ولستُ هنا، نبقى بعيدين مسافة الأماني، كخائفين، عن بعضنا.. نكتب بلا أسماء كي لا يكتشفَ أحدٌ سرّنا، فنرسل بعضاً منا لمنفى، وبعضاً لقبرٍ، وبعضاً لمرفأ، وبعضاً لمستحيلٍ تحملهُ الرّيح خلفَ الغدِ ذكرى.. ولا ننسى أن نبقي من البعض بعضاً قليلاً لماضٍ مُكسّر.

كلّ عامٍ وأنتَ لي وطن..

تسألني:

كيفَ ننظرُ إلينا وغدُنا يجرُّ وراءهُ ماضياً مُصاباً، يمسكهُ من خطواته الثابتة فيتعثّر؟

لعنةُ العبور إلينا تُصيبُكَ بداء الغياب وتصيبني بداء الحَنين، وجميُعنا، أنتَ وأنا، وماضٍ مُصاب، نُمسكُ بتلابيب الغد ونضربه بالسياط كي يتقدّم.

يمرُّ بنا الغرباء، يتراكضون ويضحكون..

يمرّون قبلنا إلينا ويقطعون حبال الجُسور..

تسألني:

كيفَ الوصولُ إلينا، ولا وطنَ يشبُه وطناً أجهضتهُ هشاشةُ أصحابه؟!

أجيبك:

ستعبرُ فوقي وأعبرُ فوقَك..

سنمشي فوق غمامٍ بروحينا تعبَد..

ونشدّ وثاق الجسر بشعاع الفجرِ المتلكّئ خلف شمسِ الغروب.

هذه الأرض أصغرُ منا إن أردنا..

وهذه القصيدةُ بيت عزاءٍ إن أبينا..

فتعال..

تعالَ نرمي جلدَنا وراءَنا، ونمسكُ ذاتَنا كي لا نضيع..

تعال نُريد..

باقٍ من العامِ قبلَكَ دقيقةٌ واحدةٌ فقط..

سأختصر كلّ الكلام..

كثيرٌ هو ما لم يُقال..

لا يبقى من الوقت متّسعٌ حين تخنقُهُ مساحة العبور..

في النّفس الأخيرِ من العام، أهمسُ في نظرِك المتلصص عليّ عبر النجوم..

كلّ عامٍ وأنتَ أنا..

أنا التي لا أعرفني في حاضري اليوم حيث أنا..

كلّ عام وأنتَ وأنا.. وطنٌ مُحرّر.

من دفاتر السجن :٢٠١٤/١٢/١١

حجر

غفران طحّان

كانت تبحث عن قطعة حجر مناسبة للعبة "الحجلة". إذ ترسم هي وصديقاتها مربعات على الأرض، ثمّ يرمين بالحجر فيها ويحركنه بأقدامهنّ حتى يصلن آخر مربع!

نعم، ثمّة الكثير من الحجارة هنا، لكنها إمّا كبيرةٌ جداً، سقطت كاملةً من بناءٍ ما، أو صغيرةٌ جداً شظّاها صاروخ ما.

أخبرتها صديقتها أنّ شكل الحجر يجب أن يكون مربعاً، أمسكت بحجرٍ اعتقدت أنّه مناسب، غير أنّه لم يكن مربعاً، بل أقرب إلى المستطيل.

كانت في المدرسة ترسم حتى العلم على شكل مربع، حتى نبّهتها معلّمة الرسم ذات الشعر المجعّد والناعم إلى أنّ العلم مستطيل الشكل، يومها أمسكتها من يدها وأخذت تعرفها على الأشياء المستطيلة، ومنها الصفّ، المقعد، السبورة، وحتى المسطرة التي كانت تستخدمها، بل إن الأمر تطور بهما إلى استراق النظر إلى نظارة المدير التي كانت مستطيلة العدستين، حينها عرفت أن المستطيل يتطاول في ساقيه ليطال السماء في بناء مرتفع، ويضيق في ذراعيه، ليصل حجم سيارة أخيها الصغيرة الذي تركته يبكي على كسرٍ أصابها.

كانت ترقب الأشياء من حولها وتصنفها وفق أشكالها الهندسية، وتبتسم كلّما نجحت في ذلك، وهي تذكر الحضن الذي خصّتها به معلمتها ذات الشعر المموج، يومها هبط شعرها كلّه على وجه زينب، فغمرها بدفءٍ نادرٍ، دفء تفتقده في البيت مع وجود زوجة أبيها التي مهما حاولت أن تكون لطيفة، تربكها بنظرة حادة، وأسنان مدببة، مع أنّها لم تحاول أن تسبب لها الأذى يوماً!

قررت أن تبحث أبعد، خلف ذلك البناء الذي خصّته إحدى الطائرات ببرميل كبير، أخبرها والدها أن البناء كان فارغاً من أهله، لكنها لم تصدقه، فهي اختلست النظر إلى التلفاز الذي نقل صور الأشلاء المبعثرة، ومن بينها صورة فتاة كانت معهم في المدرسة، كانت لها ستة أصابع في يد واحدة، وكانت تتباهى بإصبعها الزائد، وتقول بأنه سيجلب لها الحظ، ضحكت وهي تردد: "أيّ حظ"!

المكان يسكنه الخوف، فقد رأته (الخوف)، يتسلل إلى كلّ بيت مهجور راق للحرب أن تتسلى به وحدها.

كانت زينب تستطيع تمييز وجهه، فهي لم تكن تعرف الخوف بارتعاشاته وهذيانه، وخفقات القلب التي ترافقه، كان لها تجربة خاصةٌ معه.

التقت به متسللاً من وجه أختها التي عادت إلى البيت ترتجف بعد محاولة شاب العبث معها، وراقبته في وجه زوجة أبيها التي أمسكت بأختها تهزها وهي تصرخ بغيظ: "هل استطاع الحصول على شيء منك؟ يا!!! للفضيحة!".

رأته يضحك عندما جنّ جنون والدها لحظة سماع الخبر، ورأته يقضم أظافره أثناء عملية الفحص التي خضعت لها أختها بعد تلك الحادثة.

وقبل أن يغادر البيت رأته يختلس النظر إلى وجه أختها الذي ما غادره الاصفرار من وقتها! حينها قررت ألا تسمح له بأن يخطو تجاهها، حتى عندما سقط ذلك البرميل المنتفخ من الطائرة، وأطاح بعدد من بيوت الحيّ، لم تسمح له أن يدّب على جسدها، وتجاهلته بمتابعة غسل قطتها بالماء!

اليوم، وبينما كان يتمرأى بخياله في ساحات هذه الحارة المنسية، أمسكت بتلابيبه، وطلبت منه أن يدلّها على حجر مربع الشكل، كاد الخوف يختنق بين يديها، عندما دوت رصاصة قنّاص الحارة بالقرب من قدمها، فأفلتته ليختبئ خلفها، وقد أوت إلى جدار مهترئ!

خلف الجدار كان ثمّة حجر مربع الشكل، لكنه يقف في مكان يستند إليه الجدار، فإن مدت يدها لتأخذه سينهار الجدار عليها، وإن تركته ستضطر للبحث أبعد من مكان إصبع رفيقتها السادس!

نظرت إلى الخوف الذي كان يراقب الموت السعيد بغنيمة جديدة ساقها إليه القناص، التفت إليها، وقال: لم أستطع أن أحظى بذلك الرجل قبل أن يخطفه السيد موت بسببك أيتها الفتاة!

ابتسم لهما الموت ملوحاً عندما عرف بنية تلك الفتاة اقتناص الحجر المربع، فرك يديه وهو يعرف تماماً أنّه سيكون خلف ذاك الجدار ليحظى بغنيمة جديدة.

لم تعره زينب أيّ اهتمام، كانت تبحث عن طريقة تنتشل فيها جثّة الحجر المربع ذاك، لتعيد إليه الحياة بفوز تحققه على تلك الخطوط المرسومة على الأرض!

كان الخوف يهمّ بالمغادرة عندما سعد برؤية يدّ الفتاة ترتجف، سينتصر عليها إذن! كانت قد انحنت لتصل الحجر، وهي ترقب زاوية سقوط الجدار.

وقف الموت بالقرب من الخوف، سقط الجدار...

في الحيّ علا صوت الفتيات بالصياح، عندما وصل الحجر المربع!

فارس يا بياع الورد

بسمة شيخو

أحب صوتَ الغراب. أجده ممتعاً أكثر من تغريد العصافير الممل. فيه من التمرد ما يُعجب. أحب شكله أيضاً. سواده اللامع مع مسحةٍ بيضاء رمادية على عنقه يذكرني بأناقة بعض السياسيين مع منقارٍ ضخم. أحب رفضه للوقوف إلا في أعلى مكان. مع أنه خالف قاعدته تلك مرةً ووقف على شرفتي. أظن أنه يبادلني الحب أيضاً.

يخطر ببالي أحياناً أنني أحبه تعويضاً عن كره العديد له لأسباب غبية صرفة: ها أنا ذا أسمع خطابه في حديقة المزرعة وسط دمشق. أجلس هناك لسبب أجهله في غير مكاني المعتاد. أجلس وحدي في كرسي مقابل لقسم الأطفال. تحت شجرة لا أعرف اسمها. تتدلى من بين أوراقها الخضراء عناقيد صغيرة يابسة لثمارٍ مائلةٍ للسواد تشبه حبات الفاصولياء السحرية. بالتأكيد هي معروفة للبعض وبإمكاني أن أسأل وأعرف عنها أكثر. لكن اكتسابها لبعض الهالة السحرية يمنعني من ملاحقة الحقيقة وتحطيم جمال الوهم. الغراب يقف أعلاها ويصرخ بزوار الحديقة. العصافير تتقافز على الطرف المقابل. أحدهم رمى قمحاً لأجلهم وأنا أراقبهم وهم يأكلون وأسأل نفسي: هل كل العصافير لا تصوم. أم أن هؤلاء فقط لهم مبرراتهم !إنها وقفة عيد الفطر. أعاده الله علينا وعلى هذه البلاد التعيسة بحالٍ أفضل وابتسامةً أعرض. الوجوه المارةُ متعبة والأحمال ثقيلة فبرغم الغلاء الفاحش إلا أن الأسواق مزدحمة والحلويات حاضرة عند الميسورين. هو عيد دمشق لا تغيبه حتى الحرب.

فرحة الأطفال بدأت مبكرة. انتظار العيد أجمل من العيد نفسه. إنهم يركضون. يتسابقون وضحكتهم ترن وسط هذا الهدوء الفاقع. أحدهم جلس أمامي. أعرف هذا الوجه وهاتين العينين. استحضرت وجوه أطفال العائلة أجمع ولم يأتِ. عدت بلحظات للعالم الأزرق. لصفحات الفايسبوك. استحضرت صور الفتى الوسيم التي رأيتها منذ فترة قريبة لأول مرة. ابتسامة عريضة وعينان لامعتان. حينها لأول مرة غبطتُ من عرف "فارس" بائع الجوري الأحمر. ومن بدأ يخط ذكرياته معه وينشر صوراً للفتى الجميل.

قالوا إنه كان يعمل في شارع الحمرا في بيروت. لم ألمحه يوماً هناك مع أني كثيرة التردد على تلك المدينة وذاك الشارع خصوصاً. كان عليّ أن أدقق أكثر في تفاصيل الحارات وأصغي جيداً لأصوات الورود ولصدى الحكايات. كان عليّ أن أبحث عن فارس وأهديه وردة تليق به. ولعبةً ضخمة تعمل بجهاز تحكم. كان علي أن أحقق حلماً صغيراً له. غادر فارس لغير رجعة. حمل باقاته الحمراء وانسحب من لعبة الحياة المملة. تركنا في شارع الحمرا الرمادي نبحث عنه. لأجده أنا في حديقة المزرعة. إنه هو أمامي يحمل بالونات كقوس قزح. لا ليبيعها بل ليستمتع بصوت انفجارها وبرؤيتها مسافرة نحو البعيد.

في العادة لا أؤمن بفكرة التقمص وما يشيبها من أفكار انتقال الروح من شخص لآخر وأشعر أنها ضربٌ من الخيال. لكن فكرة أن يكون هذا الفتى هو فارس راقت لي. فهو بالتأكيد يستحق فرصة ثانية في هذه الحياة والله لن يحرمه منها. غرابي الجميل نزل أرضاً لقرب العصافير. أجفلهم فانطلقوا كالرماح في جسد الهواء. صمت برهةً. تنقّل بضع خطواتٍ أمامي وعاد لسمائه.

إنها إشارةٌ بالتأكيد. وإلا ما مبرر أن يتمشى غراب هنا. بائع "البوشار" يمر من أمامي الآن. غيّر أغنيته المعتادة (طير وفرقع يا بوشار ما بيصير أكتر ما صار....) وصدحت أغنية فؤاد سالم (عمي يا بياع الورد...) الآن تأكدتُ أنه هو.

كنت أهمّ بقطف زهرةٍ لأجل ذاك الطفل لكن أباه حضر. ابتسم لي وأمسك يد فارس الجديد وغادر. هل من المعقول أن يكون ذاك ملاكاً وتلك الروح في نزهة...؟

عليّ حقاً التوقف عن مشاهدة الأفلام الغربية وتشذيب هذا الخيال اللعين الذي لا يرضى أن يمرّ عليّ حدثٌ ما بشكلٍ طبيعي!

خرجت من الحديقة أحدّث نفسي كما أفعل دوماً. هذا ليس فارس بالتأكيد. لكني حين أزور بيروت بعد أيام لن أفتّش عنه. فهو في دمشق ربما مختبئ بين الأغصان يعلمها كيف تلد زهوراً كوروده. أو ربما في سوق اللعب في دمشق القديمة يقايض وروده الحمراء بدمية. هو ربما في أحد المقاهي يندس بين عاشقين. ربما ركن وروده على الرصيف ودخل المدرسة ليتعلم. ربما وربما.. الاحتمالات تجري أمامي كالأرانب وأصدّقها جميعاً. إلا احتمال أن يكون ذاك الطفل قد قضى بغارةٍ جويّة من طيران التحالف لمدينته الحسكة. وبالتأكيد لا أصدق الترهات التي طفت على السطح في الفايسبوك فيما يخص تجنيده لعملية انتحارية! وأقسم ألا أحد يصدقها.

بعض الناس لا تعرف لغة العيون. لكني أعرفها يا فارس. في صورك الفوتوغرافية الصامتة كانت عيونك تتكلم! ليتنا أنصتنا قبل فوات الأوان.

وليتنا ننصت للباقين الآن مئات الفرسان في الشوارع بين حمرا بيروت وحمرا دمشق يصلّون لأن نشتري منهم وردة. وينتظرون على مفرق الحياة مفاجآت ربما يسهو الحظ وتكون سعيدة.

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

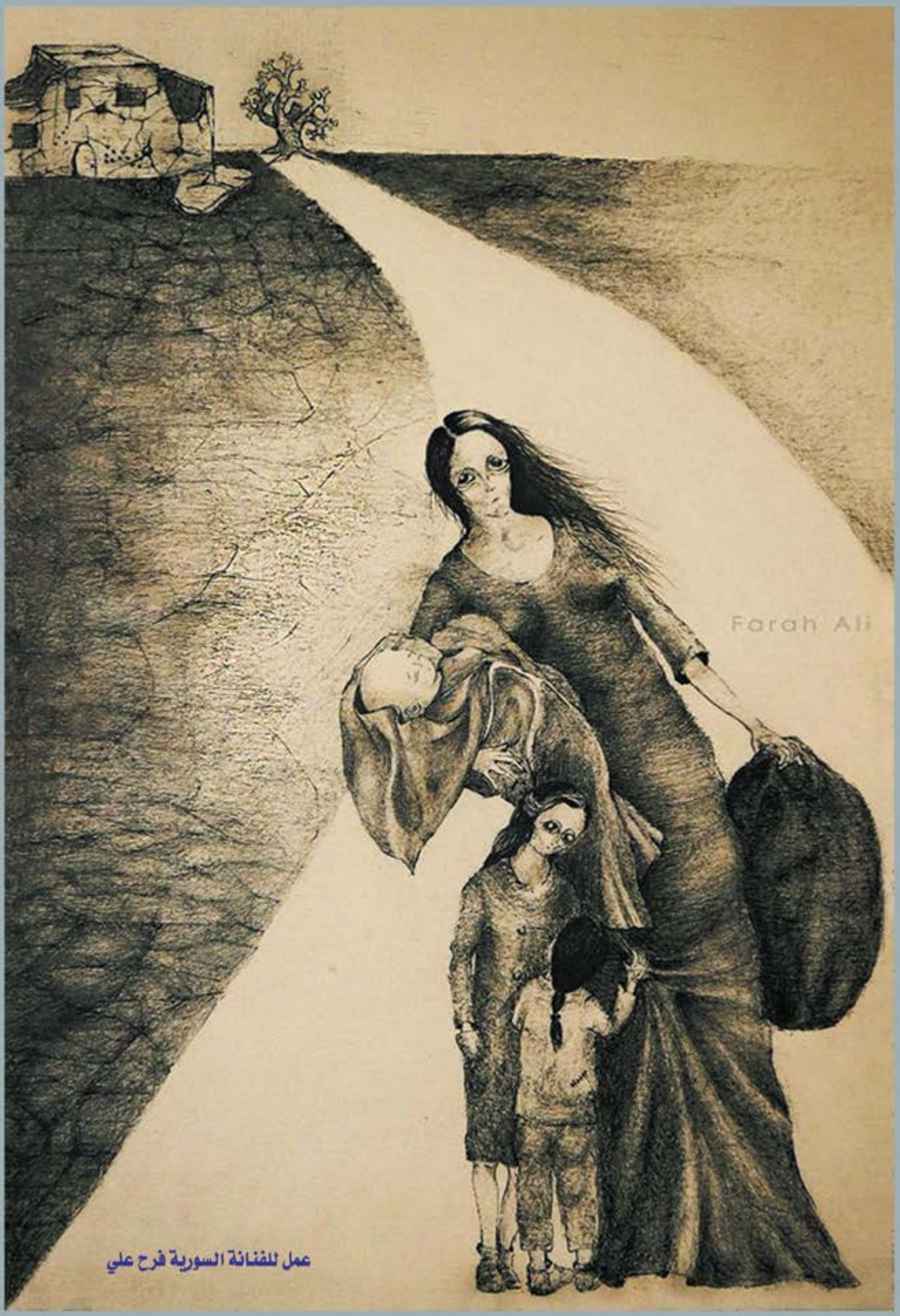

عمل للفنانة السورية فرح علي